

تيجان الغواني
في شرح جواهر المعاني

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون
الإدريسي الحسني

مقدمة

يقطع المغرب بخطى ثابتة في أناة وصبر، وعزيمة صلبة، وطاقة على التحمل، واستماتة قوية، محطات تطوره، ومراحل تطلعه ومصيره، يحدوه في ذلك طموح عظيم للقضاء على رواسب التخلف، وعمل جاد نحو النمو الذي يتوق إلى تحقيقه، محافظا في هذا وذاك على أصالته، مرتبطا بها، سائرا على محكم مناهجها، يستتبط منها الدروس والعبر المفيدة، وينظر إليها بروية متزنة، كفيلة باستيعاب مضامين هذه الأصالة والإقتباس من ثراءها الزاخر.

ومن باب هذه الأصالة الإهتمام بآثار الماضين من علمائنا الكبار، ممن أثروا الخزانة المغربية بنفائس الكتب والمؤلفات القيمة، التي تخطت الحدود شهرة وإشعاعا، فبلغت أفاقا واسعة على صعيد العالمين العربي والإسلامي. فأشعوا بذلك الخير والمحبة والإيمان، وحفظوا لوطنهم هويته الخاصة، وصانوا كيانه وجذوره على مدى الأحقاب، وهو ما ساعد على تعبيد الطريق لجيلنا الحاضر، الذي صار على هدي أصالته، وقام على أساسها المتنين، فانصهر فيها، وامتزج بها أي امتزاج.

ومن هؤلاء الأعلام العلامة القاضي الأديب أحمد سكيرج، أحد العلماء المغاربة الأفاضل، ممن حباهم الله بالذكاء الخارق، والمعارف الشاملة، والمواهب الفطرية، والنبوغ الكبير، فسخر كل تلك المؤهلات للعلم والكتابة والفكر والتدريس، وتكريس وشائج المحبة والسلم والتعاون بين أبناء وطنه.

وكان هذا سببا كافيا لإقدامي على تحقيق مجموعة من كتبه ورسائله، من جملتها تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني التي هي موضوع كتابنا هذا.

ترجمة المؤلف

ولادته

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحران. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظته فيه منذ البداية من شغف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف. والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدر اوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. و ابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفاً. مما يدل على غزارة علمه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تأليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلاً بها. ولوعاً بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فليُنظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفه

- تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:
- ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336 هـ موافق 1914م - 1918م.
 - قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337 هـ - 1340 هـ موافق 1919م - 1922م.
 - عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340 هـ - 1342 هـ موافق 1922م - 1924م.
 - قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342 هـ - 1347 هـ موافق 1924م - 1928م.
 - قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347 هـ - 1363 هـ موافق 1928م - 1944م أي إلى حين وفاته رحمه الله.

سلوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميل للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبيدي الإبتسام. لم يقعه مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدرأوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بآتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفاً.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحداً من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل وورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:
مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديواناً
مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين
إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذته

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي.

والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاته ومدفنه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت 23 شعبان عام 1363 هـ- 12 غشت 1944م

وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

دراسة حول كتاب
تيجان الغواني
في شرح
جواهر المعاني

مدخل حول الطريقة التجانية

أنجبت الطريقة التجانية منذ ظهورها الأول قبل ما يزيد على القرنين من الزمن علماء فطاحل وأدباء وقراء وفقهاء وزعماء ومجاهدين وغيرهم، وامتد فضلها واسترسل عطاؤها الروحي والتربوي والأخلاقي والعلمي وما زال والله الحمد في تزايد عظيم، لا سيما وقد تجاوز إشعاع طريقتنا هذه بلاد المغرب إلى معظم دول العالم الإسلامي.

ويحق لأهل هذه الطريقة، خصوصا منهم قاطنوا بلاد المغرب الإعتزاز بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، تلك الزاوية التي ضربت بجذورها في أعماق التاريخ، فكانت منبع علم ومنار فكر، وقلعة مجد وحصن حضارة.

ويعز علينا كتجانيين أن تضيع حلقات ذهبية، أو تتعطل، أو تطوى صفحات مشرقة، أو تنسى مواقف مشرفة من تاريخ هذه الزاوية وإرثها الثقافي والحضاري، فقد كانت دائما ولا زالت محط تقدير واحترام واعتبار، مقربة لدى ملوك الدولة العلوية الشريفة، مكرمة معززة عندهم، يستشيرون أهلها ويعتمدونهم.

مكانة كتاب جواهر المعاني لدى مريدي الطريقة التجانية

كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، هو أشهر مؤلفات الطريقة التجانية على الإطلاق، وهو كتاب ذو أهمية عظيمة تجعله في مصاف أهم الكتب الصوفية التي يحتاجها كل قارئ، ولعل من أبرز مزايا هذا الكتاب الفترة الزمنية التي اختص بها، وهي فترة انبعاث الطريقة المذكورة وظهورها جلياً على مسرح الأحداث.

ويعد هذا الكتاب مرجعاً أساسياً لجميع مؤلفات الطريقة التجانية التي جاءت بعده، وقد قال بعضهم في هذا الصدد: كل ما أُلّفَ بعد كتاب جواهر المعاني فهو عالية عليه، مع ضرورة استثناء كتاب الجامع للعلامة سيدي محمد بن المشري لكونه كان معاصراً لسيدنا الشيخ رضي الله عنه ومن تلامذته أيضاً، وقد نهل من نفس مناهل صاحب كتاب الجواهر.

وعموماً فإن أهم خصائص كتاب جواهر المعاني تكمن في جمعه لرسائل وتقايد الشيخ الختم أبي العباس التجاني رضي الله عنه، مع ترجمته وفتاويه وأقواله. وهو على سبيل الإختصار كتاب عقيدة وتفسير وحديث وفقه وتصوف وأدب وسيرة، ولا داعي للتعريف بشخصية الشيخ الذي صنف في حقه هذا الكتاب المبارك، فقد كان بحراً جامعاً بين الشريعة والحقيقة، يرجع إليه ويهتدي بإرشاداته كبار علماء وقته، وكان علاوة على ذلك مثالا للورع والسكينة والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

نص الصفحة الأولى من الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني
للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، وهي بخطه
رضي الله تعالى عنه

نص الصفحة الأولى من الجزء الثاني من كتاب جواهر المعاني
للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، وهي بخطه
رضي الله تعالى عنه

السبب الدافع للعلامة سكيرج لتأليف كتاب تيجان الغواني

كان العلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه شديد الإهتمام بكتاب جواهر المعاني، دائم المطالعة له، يدرسه ويتمعن في محتوياته، ويستغرق الأوقات الطوال في استخراج درر معانيه الدقيقة، وقد وقفت له في هذا الإطار على رسالة بعثها لأحد تلامذته، قال في ضمنها: إني والله الحمد أبذل الجهد في جمع هذا الكتاب وإخراجه، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، فإن وقفت إلى ذلك وأصبت فهو من عند الله، وله المنة، وإن كان غير ذلك فأستغفر الله، وعذري أني سأستفرغ في البحث جهدي، والله تعالى أسأل القبول، إنه تعالى على كل شيء قدير.

ومما وقفت عليه في هذا الصدد أيضا رسالة أخرى بعثها المؤلف لأستاذه العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، قال له فيها: أما الداعي الذي دفعني لجمع هذا الكتاب، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، هو ضرورة الإلمام بكتاب جواهر المعاني وما احتواه من رسائل وتقاييد مولانا الختم أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ورد افتراءات المنكرين والمتشككين في بعض كلام سيدنا رضي الله عنه، وإظهار وجه الصواب في ذلك القول، مع التنبيه على أن سوء فهم قول سيدنا رضي الله عنه ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم والدقائق والفهوم، إذ أن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا للزوم التوافق بينها، والمعلوم أن الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، فمن لم يتبين معنى مدلولاته أغلق عليه باب الإستيعاب، وأشكل عليه فهم السياق.

نص الصفحة الأولى كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني
بخط الفقيه العدل سيدي محمد زروال

المنهجية المتبعة في تأليف هذا الكتاب

المعروف عن هذا الكتاب أنه من عداد مؤلفات العلامة سكيرج التي لم تعرف طريقها إلى التمام، واكتفى فيه بذكر ترجمة موسعة لمؤلف كتاب الجواهر العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة، وختم هذه الترجمة بذكر نصوص بعض إجازاته، فكانت ذات قيمة عظيمة من الناحية المعلوماتية، لا يمكن أن يختلف عليها، فهي بحق وافية شافية كافية، وكنت قد عثرت فيما قبل على رسالة للمؤلف تحدث فيها عن المنهجية المزمع اتباعها لدى جمعه للكتاب المذكور، حيث بين أن منهجيته فيه ستقتصر على التعليق والشرح لبعض الألفاظ التي تحتاج في نظر القارئ إلى تعليق مع تبسيط بعض العبارات والمفاهيم المقتضية بيانا وإيضاحا.

تاريخ كتابة هذا التأليف

لم يذكر المؤلف تاريخ شروعه في هذا الكتاب المبارك، كما أنه لم يذكر تاريخ فراغه من كتابته لكونه لم يتمه، وقد بحثت طويلا عن هذا التاريخ في بطون الرسائل والوثائق والمستندات إلى أن وقفت على بيان ذلك في إحدى كنانيش المؤلف، حيث أفصح عن التاريخ الذي راودته فيه فكرة جمع هذا الكتاب، وكذلك عن تاريخ شروعه في تدوينه، فذكر أن طروء الفكرة عليه بتأليف هذا المصنف كانت منذ زمن تحصيله، وأنه شرع في كتابته في شهر صفر الخير عام 1343 هـ.

ما جاء في عنوان هذا الكتاب

سماه مؤلفه باسم تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، وهو ما كتبه بخطه الجميل على الصفحة الأولى من هذا الكتاب، وظل

رحمه الله محافظا على هذا العنوان، لم يغيره بعنوان آخر إلى حين وفاته، ويبدو هذا جليا من خلال قائمة عناوين مؤلفاته التي كتبها أوائل سنة 1363 هـ- 1944م، وهي السنة ذاتها التي توفي فيها رحمه الله.

ولدي نسخة من هذا الكتاب بخط تلميذه العدل الفقيه محمد زروال، كان المؤلف قد بعثها لصاحبه وتلميذه السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ، وذلك لمكان إقامته بالعاصمة الفرنسية باريس، فاختر هذا الأخير أن يكون لهذا الكتاب عنوانا آخر غير عنوانه الأول، فكتب على مطلع الصفحة الأولى من هذه النسخة ما نصه كعنوان بديل: تيجان المعاني في جمع ما في الجامع وجواهر المعاني مما فاض من بحر الختم التجاني سقانا الله من فيضه بأعظم الأواني.

نص العنوان المقترح لهذا الكتاب من طرف السلطان الأسبق المولى
عبد الحفيظ، وهو بخطه، وإليه يشير الأستاذ الأديب سيدي عبد
الكريم سكيرج في أعلى الصفحة بخطه

نص تقریظ للكتاب بخط العلامة الفیلسوف سیدی محمد الرافعی
الدکالی

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما

نحمد الله الذي فتح أبواب مواهبه بيد إمداده لمن أقبل عليه بتوفيقه
وعنايته، ومنح بفضله هدايته لمن شاء من عباده لعبادته، فسهل لهم
السلوك بها لإدراك كرامته، بعد أن نادى جميع المكونات إلى الإقرار
بربوبيته، فأقرت في عالم الأرواح بأنه ربها وخالقها، وكل ذرة في
الكون فهو موجد لها من العدم لأسرار عالية المقدار، وفق ما اقتضته
حكمتها التي هي من نفس الإيجاد والإعدام، والإمداد الخاص والعام.

أوجد الله سائر الأكوان وأمد الجميع بالإحسان
فدعا الكل في بطون بطون فأقر الجميع بالإيمان
وحبا في الظهور أهل هداة برضاه بغاية الإتقان

دعا سبحانه في عالم البطون الأرواح فأقرت بالتوحيد، وخص
بالهداية في عالم الظهور من أراد الخير به، فأجابت طبق إقرارها الأولي
هذه الأرواح، في قفص الأشباح، من غير إيجاب شيء عليه سبحانه
وتعالى فيما حفهم به من التأييد على التأييد، وقد عم جميع العوالم بنعمتي
الإيجاد والإمداد، فلم يخلو مكون منهما حتى في حالة الإدناء وحالة
الإبعاد، وكلهم في بحر العبودية سابحون، وهم له طوعا أو كرها مسبحون¹.

¹ - إشارة لقوله تعالى: "و الله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو
والأصال". سورة الرعد. الآية 15.

علم الخلق كلهم أنه الله وما للعباد مولى سواه
هو سبحانه الإله ولا معه بود بالحق في الورى إلا هو

سبحانه وتعالى عما لا يليق بكماله الواجب وصفاته، فتبارك الله
المتفرد بالعظمة والكبرياء التي لم يقف على حدّها أحد من مخلوقاته،
ونشكره جل وعلا على ما تفضل به على الخلق من النعم التي لا يحصيها
سواه، ولا يفي بشكرها أحد منهم من سائر الوجوه في الوجود إلا هو،
بقبول شكر من وفقه للشكر عليها ممن ارتضاه، ونستزيد فيض فضله ما
يقتضيه كرمه من الكرم بدوام النعم، فنحن في الدارين فقراء إليه، وما لنا
خروج عن دائرة الفقر وإن لم نؤد ما وجب علينا من حق الشكر.

سبحان من لو سجدنا بالعيون له على شفا الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ الشكر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشر

ونستغفره لذنوبنا مما علمناه منها وما لم نعلم، وما تعمدنا فعله مما
أهم وما لم يهم، ونفوض إليه الأمر فيما قضى به وجرى به منه الحكم في
سابق العلم، ونسأله اللطف الخفي في ذلك كله، ونتعرض لنفحاته فإنه لا
يخيب من استعطف جنابه، واستفتح بالإعتراف بالفقر الذاتي أبوابه.

فهو الكريم الذي ما خاب سائله والله أكرم أن يخيب من قصده
عمّ العباد بفضل منه يمنحه وحاش يمنع من إليه مدّ يده

ونصلي ونسلم على من جعله الله الحجاب الأعظم بين الربوبية والعبودية، ولولاه لاندثر الكون، وجعله واسطة في جميع النعم الوهبية من الحضرة القدسية، وبه كان له كمال الصون فلا نعمة إلا على يديه وصلت للخلق أو ستصل، ولا رحمة للعباد من معبودهم أتم منه في الوجود بما خص منه، وشمل عين الرحمة الربانية والرحمة المهداة للعوالم من الحضرة الإحسانية، محمود الخالق والمخلوقات، وحميد الفعل والذات والصفات.

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم¹

صلاة وسلاماً لائقين بجنابه المعظم، شاملين لكل من لاذ به من آل وأصحاب وتابع على منهاجه الأقوم، ويعم كل محب لحضرتة المحمدية، وتمسك بحبل الطريقة الأحمدية، مع كل من نظر إلى أهل الله بعين التعظيم والإحترام، وأحبهم محبة خصوصية لمحبة الله لهم على طول الدوام، فإنهم بين خلقه كالنجوم يهتدى بهم في المضايق، وهم الحبال التي أدلاها الحق من حضرة امتنانه للتعلق بهم في سلوك الطريقة، قد تجردوا

¹ البيت من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، ورقمه 33.

عن هواهم لما أمرهم، وتقلدوا بقلادة الإقتداء بالرسول عليه السلام فشكرهم، ألا إنهم هم الأولياء الذين قام مقامهم في المدافعة عنهم بمحاربة من عاداهم أو آذاهم بأدنى ما لا يرضاه الله لهم ممن لا يعد منهم، فهم القوم يُحْسَبُ منهم محبهم بأدنى سبب¹، ويُطْرَدُ مبغضهم ولو حل في أعلى الرتب، لاستنادهم عليه، وتخصيصه لهم بما أولاهم لديه، فتعظيمهم من تعظيم جنابه، لكونهم مع كل من أحبهم أحبابه.

أبى الله إلا أن يعظم جانبـه ويرغم من يزري به ويجانبه
وكل امرئ أضحى بريش سهامه ليودي أهل الله فهو محاربه
وليس بناج لا محالة من غدا محاربه هيئات والله طالبه

فخص سبحانه بالخصائص الكبرى والمزية العظمى أولياءه، الذين تولاهم بقبوله لهم حين وفقهم بالإقبال عليه، وإن من أكرمهم لديه بعد الأنبياء والصحابة خاتم الولاية المحمدية، قد حمله سر الخلافة الأحمدية، وفتح له من خزائن الفضل أبواباً لا تتسد، ومنحه بفضائل لا تحصر، بعدما أنعم به عليه من صدق المحبة في الجنب النبوي المصطفوي، وقد أظهر في هذا المقام في كل عصر عينا من عيونه، وهو محل النظرة الخاصة بين خلقه، لأنه أكمل الختام في الظهور، ولم يكن مثله في الخصوصية

¹ - إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: هم الجلساء لا يشقى جليسه، وفي رواية أخرى: هم القوم لا يشقى بهم جليسه. من حديث طويل، رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل ذكر الله عز وجل. رقم 2661. ورواه الإمام مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب فضل مجالس الذكر رقم 6790.

على ممر الدهور، حامل لواء السعداء، والمقدم أمامهم بين الأصفياء، صاحب المشرب الخصوصي في المدد والإستمداد، والممد بالسر لسواه بالوراثة الأحمدية سرا من غير شعور بجمع بحري الشريعة والحقيقة، والسالك على أوضح طريقة، من شاعت مناقبه بين أهل الله، وظهرت فضائله ظهور شمس الظهيرة بلا اشتباه، فأقرت أعداؤه بفضلته، وجلالة فضل أصله ونسله، القطب الصمداني، والغوث الفرداني، والعارف الرباني، أبو العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به

أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها آلاف أمينا

ولقد اعتنى بجمع ما يتعلق بأحواله وذكر بعض ما يستحقه مقامه العلي، وفضلته الجلي، ونزر يسير من فضل طريقته وأوراده، مما يدل على فخامته قدره وكماله جماعة من خاصة أصحابه، ممن تلاقوه وأخذوا عنه مشافهة وعاشروه زمنا طويلا، واستفادوا منه ما وصلوا به للحضرة المحمدية، فحصلوا على سر الوصول، وبلغوا غاية المنى والسول، ثم قفا أثرهم جمع من أعيان الإخوان، من زمانه إلى هذا الزمان، وألفوا في ذلك كتبا عديدة، ومصنفات مفيدة، ولا زال الجميع يلهج بما حصل لهم من الفتح اللدني على يده.

ولا يزال الأحباب من هذه الطريقة التجانية يبدون من أسرارهم ما يبهر العقول، مؤيدين بالتأييد الإلهي، وسائق العناية يسوق إليها من هو

معدود من أهلها لنيل فضلها، والصارف الإلهي يصرف عن التقييد بحبلها من لا نصيب له من فضلها، إلى أن يأتي أمر الله مع ظهورها على غيرها من الطرق طبق الوعد الصادق، بدليل ساطع نورها في الأفق، وهو أقوى دليل على أنها متمكنة في الفضل على غيرها، فالمحروم من حرم من خيرها بعد أن تحقق بما بنيت عليه من مقامات اليقين المؤيدة بالفتح المبين، فقام باتباع الهوى ينكر فضلها جحودا وانتقادا، ولم يسلك طريقة الهدى ولو بالتسليم لأهل الله انقيادا اعتقادا، ولو عذر المنتقد نفسه المسكينة ما ذبحها بسكين الطعن على أهل الله، ولو رام السلامة لنفسه ما اتبع بتقليد أهل الهوى والرضى عن النفس الأمانة العورات التي كشفها أهل البغض بقصد تشويه سمعتها الحسنة، وإفراغ الحسن منها في قالب الأمور المستهجنة، تنفيرا عنها.

فلقد رأينا من أهل الأهواء أهوالا وهم على ما هم عليه من المنكر يحملون من الإنكار ما أورثهم خبالا، لا سيما إن ساعده المقدور بتحصيله على مزية في عين العامة بكلمة مخزنيه أو نفوذ مالي، أو كونه مسموع الكلمة من حيثية أخرى، خصوصا ممن يظن به أنه من العلماء بين العوام الأميين وأشباههم ممن لهم أغراض في هتك الأعراض، فيتعامى عن رؤية نورها الساطع، ويتصامم عن سماع ما خص الله به أهلها من الفضائل، ويبادر في معارضتها بذكر غيرها مما تمسك به هو من الطرق التي يزعم فيها أنه حصل على سرها وخيرها، وهو عنها في مكان سحيق، فلا ينتفع بما أظهره الله من نور هذه الطريقة، وهو في تصميمه

على الإنكار إما جاحد متعنت أو جاهل للحقيقة، وكل منهما لا يكفيه حرمان نفسه من خير هذه الطريقة الأحمدية، بل لا يألو جهداً في تحذير المغرورين بالترهات الخرافية، والتمويهات الشقشقية اللسانية.

وإننا لنتأسف لبعض من نراهم من أهل مودتنا ممن جمدوا على ما بلغهم من أهل الإنكار على هذه الطريقة، فينفرون من سلوكها، ولو بالسلوك على منهاج التسليم والتصديق، فلا يسعنا إلا اجتنابهم ومعاملتهم معاملة الأخوة العمومية، ونود أن لو كانت بيننا وبينهم المواخاة الخصوصية، غير أننا لا نحرص على أحد منهم في الدخول في حرز هذه الطريقة، وإن كانت داعية النصح في الله تقضي علينا بأن نوقفه على عين الحق فيها، عسى أن يوفقه الله للهداية على يدنا بمقتضى: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم¹، ولكن منعنا من استدعاء أمثاله ما نخشاه منه من التعنت والإصرار عليه حسب ما نستشعره من بعض النفوس من حصول النفور من المرشد، فنكتفي منه بما يعاملنا به من عدم التعرض لذكر اسم سيدنا الشيخ رضي الله عنه بما نكره، ولا نزال معه على صفاء الملاقاة، إلا إذا أعماه الهوى بإظهار نوع من الجفاء بإنكار

¹ - إشارة للحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه، فقاموا يرجون ذلك أيهم يعطى، فعدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكى عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبراً مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم. إهـ. أنظر صحيح البخاري (كتاب الجهاد والسير) باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة رقم 2875. باب فضل من أسلم على يديه رجل. رقم 2942 (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي رقم 3619.

على هذه الطريقة بما هو غير حق، فإن تعرض لذلك فإننا نهجره في الله هجرا مأمورا به في حق مثله، ونعامله بما يستحقه حتى يتحقق بعظيم جهله، فيرجع للحق، أو نتحقق بإصراره.

على أننا لازلنا نهتم اهتماما لا مزيد عليه ببعض إخواننا المسلمين، ممن لا علم لهم بهذه الطريقة، ويقلدون أهل الجحود وأهل الإنكار الذين ولعوا بالانتقاد على أهل الاعتقاد، ويقصدون اجتماع أهل القلوب عليهم دون غيرهم، ويستميلون النفوس الضعيفة إليهم بإشاعة بعض المعينين لهم ممن اتبعوا أهواءهم بذكر مناقب لا أصل لها لمن شيعوها عنهم، مع منامات مختلفة على وفق ما يروونه يؤثر في نفوس السامعين، ويؤيد البعض منهم ليدفع معور عن معور، جلبا لنفس ما راموا كيده واصطياده في شبكتهم وفخهم الذي نصبوه بما لهم نسبوه، فلم يكفهم غرورهم واغترارهم بما ينتحلون وما يتقولون، حتى تسلطوا على غيرهم بتشويش الإعتقادات التي كانت سالمة من الغل والحد على أحد من خلق الله، فعادت النفوس بعد الإطمئنان بسببهم أمارة، فامتلات القلوب نفورا عن أهل الله بما لم يرى أهل الحق من موجب الإنكار إمارة، فانحلت رابطة المودة القلبية بين جلمهم، وكادت أن تتحل عقدة الأخوة العمومية الإيمانية بينهم حتى بين أهلهم.

ويا لله ممن تصدروا لتلقين الأوراد في هذه الأزمنة التي ضاقت فيها الصدور السليمة، فاستمال جلمهم إليهم بعض القلوب وأثاروا فيها ما أثاروا من بغض من ليس على شاكلتهم، ولم ينظروا بعين الرضى لغير من

تمسك بما تمسكوا به، وسلك على ما هم عليه سالكون من حق أو باطل من غير موجب دعاهم لذلك، إلا مجرد الضغن المستولي على قلوبهم، مما نشأ عن حسد ونحوه من مقتضيات الهوى، مما يبثه فيهم من لا شفقة له على نفسه، فأحرى نفس غيره، فحصلت القطيعة بين أهل الإسلام من أجل هذا الأمر المر المستفحل في غالب الطرق التي سلك عليها أهلها في بادئ الأمر على ما يرضي الحق، ورجعت إلى ما هي عليه في هذه الأزمنة كما ترى.

ولم يزل الأمر على ما هو عليه حتى سرى في غالب المريدين الناهجين على طريقة واحدة، فسب بعضهم بعضا، وأعرض البعض عن البعض بغضا، وربما أدى الحال بالبعض إلى تكفير أخيه من شدة البغض، كل ذلك لاستيلاء حب الظهور على قلوبهم، واستمالة قلوب ضعفاء العقول إليهم، مع وضوح عيوبهم طبق ما يشاهدونه بعيونهم في خاصة أنفسهم المسولة إليهم ما لا يسوله إلا العدو لعدوه، بما ينحط به الراقي للمراتب إلى الحضيض من علوه.

وقد تفاحش الأمر حتى سرى إلى بعض إخوان هذا الزمان ممن ينتمون لهذه الطريقة، فاتخذ بعضهم بعضا سخريا، وجعلوا ما أوصاهم به الشيخ قدس سره ورائهم ظهريا، فتحزب البعض للبعض حزبا، ورموا البريء غيبا عيبا، خصوصا من باعد نفسه عن القيل والقال منهم، ولم يكن له معهم دولة، أو خالطهم ولم تكن له معهم بين العامة صولة، فيضمرون له سوءا فادحا، وربما تجد له إن كانت له مزايا من بينهم من لا

يزال له في ظهر الغيب قادحا، فضلا عن أن يعتقده، وما ذاك إلا للحكمة الكبرى في استتار ذوي الخصوصية تحت سور سوء الظنون، ليقضي الله أمرا كان مفعولا في طرد من ليس من هذه الطريق لعدم توفر شروطها فيه.

وكثير من هذا الفريق لا يعرف من أين أخذته مصيبتة التي أصابته بسهمها الصائب، وقلما تظن لما حل به لاستيلاء سطوة الغفلة عليه، ولو أنه ألقى إلى نفسه أقل نظرة لرأى بعين بصره وبصيرته ما وقع به في هذه الحسرة، وكأني بمن اطلع على هذه السطور إذا وضعها على حاله وجد نفسه هو المقصود بمضمونها، بإظهار ما خفي عنه من أمور، فإن ساعده التجلي أنصف لنفسه من نفسه، وبادر بإنقاذها مما حل بها من سوء الاعتقاد، وأعطى لكل مقام حقه، وإلا بادر بالإنكار على ما أبدينا له من غير مشقة، وعسى أن ينفعه الله بالتبصر في أمره، فيحصل له بذلك انشراح صدره، ولست بمنكر على من أنكر هذا علي، ونسب النقص كله إلي، لأن بيني وبينه في المقاصد بون وبعد، والله الأمر من قبل ومن بعد.

ولكنني ما ضرني حيث أنني أريد وصول النفع والنصح للغير
وأعربت عن قصدي وليس علي في حسود ولا فيمن يلوم ولا يدري

ولقد وجد الشيطان السبيل إلى تغيير القلوب، بما يظهره من العيوب، فجلس في أوسع الطرق وأضيقتها يصد السالكين عن سواء الطريق، بما يلقيه عليهم فيها من الشبه، فيستعظم الأمر الهين في أعينهم حتى يروا حسنا ما ليس بالحسن، ويروا الحسن قبيحا، ويصور لهم المحال موجودا والصالح فاسدا، والموجود مفقودا، ذلك شأن من أريد به الشر من حيث لا يشعر.

وعلاوة المكر به الإنقطاع عن طريقه التي كان سالكا عليها، وانقلاب حسن ظنه انتقادا لما يراه من أهل الطريق من غير تشبث، ويرى أنه على الطريق المثلى وهم في الضلال يعمهون، ولا يزال يستحكم هذا الإعتقاد فيه حتى يرفض الود، وينقض العهد، بسبب ما رآه مما لم يشرف في نظره من أحوال إخوانه وأفعالهم، ويرى أن ذلك من شيخهم، ولو تحقق بتبرئة ساحته مما يستكره مما كره، فيصرح بالإعتراض على الشيخ بفعل المرید، ويصدق بانتقاد ما عليه من مزيد، وما هو من الضلال ببعيد.

وقد شاهدنا كثيرا ممن انقلبوا على عقبهم في الطريق، وقد كان موجب انقطاعهم بإعراضهم عنها بأدنى سبب، جرهم إلى سوء منقلب، مع عدم اطلاعهم على الطامات الكبرى التي ينسبها المنتقدون على هذه الطريقة وما اشتملت عليه كتبها، مما لا يلقي له بالا المعتقد، ولو اطلع عليها غير المعتقد لولى منها فرارا، ولملئ منها رعبا، ونحن وإن اطلعنا على ذلك وميزنا منه الغث والسمين، وعرفنا الرخيص والثمين، فلم يزدنا

ذلك إلا تمسكا بحبل الطريقة لأننا لم نأخذ هذه الطريقة التي سرنا فيها بحسن اعتقاد لأجل ما ينقل من فضائلها. وإما تلقينا بسند صحيح ما أسست عليه من الأذكار التي هي نفس الورد والوظيفة وذكر الجمعة طبق ما هو مقرر لدينا من شروط ذلك، وما زاد على هذه الأذكار فهو فضل أو فضول، وهو الجالب للعامة والصارف لمن دهمته فيها طامة طبق ما قدر لكل في سابق الأزل.

وكان القدر المملئ من خمرة الحب في هذا الجانب ممن صنف في هذه الطريقة، لناشر راية هذه الطريقة زمن الشيخ رضي الله عنه. خليفته المعظم، من أفاض عليه الشيخ من الحضرة الأحمدية إمداده، فكان من بين أصحابه مريده ومراده، فظهرت عليه من بركته خوارق العادة، أبي الحسن سيدي الحاج علي برادة¹، قدس الله سره في جنة النعيم.

فجاء بهذا التأليف في أبداع تصنيف، وأحسن تصريف، لا يحتاج به إلى تعريف، فجاد به على الفقراء فأغناهم به عن الغير، وأجاد في وضعه فدلهم على تحصيل كل خير، وأفادهم بما أبداه فيه بما رفع للطرف أعلام السير، بإنقاذ المريدين من ضنك الضيم والضير، وكشف به عن غواني المعارف الحجاب، وفتح به لأهل الإمداد من كل خير ألف باب، وهداهم إلى التخلق بكمال الآداب، التي يعز مثلها أن يوجد في كتاب، حتى أظهر ذلك الدر الثمين للعالمين بين العالمين، فكم أبدى فيه من مناقب وفضائل، وفتوحات وشمائل، وكرامات ومسائل، ومقالات ورسائل، مما

¹ - أنظر ترجمته ضمن الصفحة 48 من هذا الكتاب.

يبهر العقول الراجحة، ويحرك الهمم الناجحة، وينور الصدور الصالحة،
ويحي النفوس الطامحة.

فلا تسأل عما اشتمل عليه مع إيجازه من جواهر المعاني المنظومة
في سلك البيان البديع النظم والنثر، فما هو إلا السحر الحلال، لعمر ك ما
هو إلا كاسمه جواهر المعاني، يعرف قدره من عرف ما انطوى عليه،
ويقدر قدره من مثل بين يديه، وسقاه مما لديه، وذاق من سره الذي سيق
إليه، فهو سر مكتوم، وكأس مختوم، وذر منظوم، ومثله معدوم، سطور
شطور من المنى، ومعانيه مذهبة للغنى، يحصل به لمطالعه عن سواه من
كتب القوم كمال الغنى، باطمئنان النفس ودوام الراحة المحمودة مع الهنا.

لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم¹

فكم شربنا من رحيقه المختوم كؤوسا، وطأطنا لمعانيه رؤوسا،
وطبنا به نفوسا، ودفعنا به عنا بؤسا، وعمره به دروسا وطروسا، وشفينا
به الغليل، وأبرأنا به القلب العليل، وكان لنا نعم الدليل، الموصل على غاية
المقصود الذي هو بسعادة الدارين كفيل، وهو مع وضوح معانيه
وبلاغتها، وتشبيد مبانيه وفصاحتها، وتلويح إشاراتهِ وصراحتها، وتفنن
عبارته وملاحظتها، فقد تأخذ منه الأفكار على قدرها من الفهم، وتقنن
الفهوم من الأنوار على قدر مبلغها من العلم، ويكشف لها عن الأسرار

¹ - البيت من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، ورقمه 101.

على قدر ما تحمله من الكتم، وتفتض منه عرائس الأبرار على قدر قوتها بين القوم.

وقد دعاني إلى شرحه، وفتح أبواب صرحه، من تجب علي مساعدته، وتتعذر من كل وجه مخالفته، بعد أن أقمت أذارا لديه، ألقيتها بين يديه، فلم يزد الإعتذار إلا رغبة في الإقتراح علي، ولم يزد إقراره بعدم الإقتدار إلا تأكيدا علي، فيما أمل لدي، وكان من جملة المعاذير التي اعتذرت بها إليه ما تجف من بيانها المحابر، ويكل كاتبها عن رسم بعضها بيديه، وأهمها عندي بضاعتي المزجاة، التي لا أستحق على إنفاقها مجازاة، ولا تقبل مني في روجانها لصغر قدري وسني عن أن تتلقى بالقبول عند رجحانها، فأحرى عند نقصانها، فترك عرضها على الأفكار السليمة، هو اللائق بمن كان مثلي ممن لا تساوي تجارته قيمة، فأحرى من عرضها على الأفكار السقيمة، التي بها تصير المنتجات عقيمة، وينعكس بها المقصود، ويذم من أجلها المحمود.

وكم عائب شيئا سليما ولم تكن له آفة فيه سوى نقص فهمه

ولو كان ذا فهم سليم أضاف ما تبدى له من نور علم لعلمه¹

ومن الإعتذارات التي أبديتها أني أعرف بنفسي، وأعترف بقصر الباع، وقصور الإطلاع، عن الخوض في هذا البحر الطامي، والتسور

¹ - قريب من هذين البيتين قول المتنبي:

وكم من عائب قولا صحيحا وأفته من الفهم السقيم

على قلة هذا الطود السامي، فماذا أقوله في بيان ألفاظ أعجب من السحر، ومعانيها أرق من الخمر، فما فائدة الزيادة، وهي نفسها تامة الإفادة، لا تحتاج لإيضاح لوضوحها مبني ومعنى، ولا تتوقف على شرح شراح لانشراح صدر مطالعها حسا ومعنى، فالزيادة على اشتملت عليه تكاد أن تعد نقصانا.

قد اعترفت بعجزى عن مقاومتي لما عليه انطوت فحوى معانيها
وقلت يا نفس إنى لست أحسن ما يرام منك لتعطي القوس باريها

ومنها اتقاء طعن بعض من يقف عليه ممن يستفيد ويجحد، وينكر على أمثالي ما يحمد، بعدما يقف على ما لو لم يطالعه ممن أنكره عليه لم يحصل له به علم، ولم يحط به خبرا، ولم يجري له على فكر منه فهم ولا وهم، والعجب من بعضهم بعد استفادته بما لو أنفق عليه أحسن ما لديه، لما وصل إليه، يفرغ في قوالب حسده بما يموه به أنه يجب ستر ما ذكر غيره منه عليه. ويتمنى أن لو استفاد ذلك من غيره ليتبجح به على من يريد التصدر في المحافل، بما ينسبه إليه حسبما شاهدنا ذلك ممن طالع بعض كتبنا المؤلفات في هذه الطريقة والمؤلفات في غيرها.

فقد بلغنا عن بعض من طالع كشف الحجاب ما أداه إلى التشنيع علينا بما وقف عليه بما لو أعطى نور بصره جزاء لمن يوقفه على مثله لم يجد إليه سبيلا. ولبقي في جهله ذليلا، لا يرى لما يعانيه ذليلا، وما أثر والله

الحمد فينا كلامه، ولم يزدنا إلا حب الخير لجميع الإخوان ملامة، غير أننا نتمنى أن لا يقف على مثل ذلك في مؤلفاتنا حتى لا يحصل منه ما حصل له به الجراء المعادل لعمله، وما هو إلا عدم انتفاعه به في الدارين إلا أن يتوب إلى الله.

ومثل ذلك ما وقع لنا في تأليفنا المعنون بالفضلكة الجامعة في صرف الجامعة¹، الموضوعة في عملية قسمة التركات حسب المثل المصطلح عليه في عمل فاس، فقد انتفع به جماعة ممن صاروا ينظرون إلينا شزرا خشية أن ينسب لهم استفادتهم منا، وكأننا ما ألفناه لهم إلا لنحمد لديهم، أو اتخذوه لنكون لهم عدوا جلس بين أيديهم، وخفي عنهم المقصود، وهو نفع المسلمين ببث علم لا يسمح به إلا الوالد لولده كما هو معروف بينهم، فقابلونا بما تغير خاطر باستفادتهم التي لا شك أنها لا يحصل لهم بها نفع أخروي إذا حصل لهم النفع الدنيوي، ولا أراه يحصل لهم أيضا إلا إذا تابوا ودعوا للمفيد باستمطار رحمة من يعامله على رغم أنهم بجزائه على حسن النية، وسلامة الطوية، والله الحمد على ذلك غير أنني لا يهمني مثل من هذه أحواله.

¹ - الروضة اليانعة، والثمرة النافعة، في شرح الفضلكة الجامعة في صرف الجامعة، من مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج، وهو من أولى تصانيفه، طبع على الحجر بفاس بخط مؤلفه بتاريخ زوال يوم الأحد 22 ذي الحجة الحرام عام 1317 هـ، وقد لاقى هذا الكتاب إقبالا كبيرا من طرف الأوساط العلمية عهدئذ، كما كان على فترة طويلة من الكتب التي تدرس ضمن الحلق العلمية بجامع القرويين، ونظرا لأهمية الكتاب المذكور فقد ترجم للغتين الفرنسية والإسبانية.

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها¹

وأقول:

إذا صلحت نيتي في الذي فعلت فما ضرني لائمي

وإن فسدت نيتي بالهوى فما حمل إلا على الظالم

وحيث لم تقبل هذه الأعذار التي هي أوهى من بيت العنكبوت، تعين علي التسور على أبقار الأفكار والإستطلاع عليها من زوايا البيوت، فشمرت ساعد الإسعاد لما أمله، وأسعفته بالمقصود مما لم له، بعدما ترددت علي الخواطر، وقدمت رجلا وأخرت أخرى، وتكاثرت علي النواهي والأوامر ممن يستحسن هذا المطلب أو يستعظم الدخول فيه مبديا إنكارا ونكرا، فاستكثرت من مشاورة جم غفير من الإخوان، فأشار أعيانهم علي بالمسارعة إلى هذا السعي المحمود الذي هو من نفع الأقران، خصوصا ما بشرني به شيخنا المقتدى به، العارف بربه، الولي الصالح، النور الواضح،

¹ - البيت للشاعر العربي محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر، المعروف بأبي العيناء، المتوفي بالبصرة سنة 283 هـ، وهو أحد مشاهير شعراء العصر العباسي.

سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي¹ قدس سره، وولد في الصالحين ذكره، فإنه شافهني عندما منعي من نظم الجواهر المشروحة²، بأن أبواب المواهب إلي مفتوحة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا الشيخ

¹ - الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، و هو من مواليد شهر شعبان الأبرك عام 1230هـ قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بشهرين بقرية العلية بالصحراء من عمالة توكورت، قرب تامسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني، حفظ القرآن الكريم في صغره بقرية أولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان رحمه الله ملازما لسيدي محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا لا يفارقه إلا قليلا، وكان لديه أخا وصديقا، وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره، وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدي محمد الحبيب وهو عنه راض. وفي سنة 1288هـ ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بمدينة فاس، وفي حقه قال العلامة أكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام : وقد أتحنتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر، المبني دينه وجميع أموره على أثبت جدر، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ما ورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهزة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش بها العظام الرفات، إلخ ... وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 203 : وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرأ الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين : جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الحق علينا في الكبر... إلخ... ودخلت عليه مرة فقال لي : إن ملك الموت جاء إلي وهو لا يلبس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حياتها من جهتي الشاهد ضعيفة، حتى كأنها ليست من جنس الحبات الآخر، فعرفت بذلك أنني أناهز المائة، والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره. وبقي بمدينة فاس إلى أن لقي بها الله تعالى في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس 24 رمضان عام 1328هـ، وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بمقبرة روضة سيدي الطيب السفيني باب عجيسة بفاس. أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 9، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 200، وفي رفع النقاب للمؤلف نفسه ج 3 ص 201، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93. ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون للعلامة سيدي أحمد سكيرج (مخطوط خاص) 94، 100، 103، 110. الجواهر الغالية المهداة لنوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). تطيب النفوس بما كتبت من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 26_28.

² - أنظر المزيد فيما يتعلق بهذا الجانب ضمن ص 82.

التجاني رضي الله عنه بهذا الكتاب وأمره بالمحافظة عليه لينتفع به أولياؤه بعده، وعسى أن أكون منهم، وبث إلي أسراراً في هذا الموضوع، وأطلعني على مشهد من مشاهد¹ المؤلف قدس سره لنقف على ما ذكره عياناً، وسأزيد في هذا الشرح لهذه البشارة بيانا، تحدثنا بنعم الله، وتعرضنا للمزيد منها، فتحركت في هذه الأيام حركة البواعث على القيام بهذا الوظيف الثابت شكره لدي، وأهم البواعث عندي ثلاثة:

أولها إدخال السرور على من ألحوا علي في استعمال هذا الشرح بمساعدتهم ومساعدتهم، وفي ذلك ما لا يخفى على النجح في السعي الرابع وأحسن ما يسعى الفتى فيه جهده ليرضي به المولى الأداء لحقه وإدخال أنواع السرور بسعيه إلى كل ما يرضي الإلاه لخلقه

ثانيها تعمير وقت كتب الشرح بالإشتغال بالعلم مطالعة وكتابة واستحضارا، واستغراق جل الوقت بما هو محمود، والإعراض عن القيل والقال مع أبناء الزمان في روجان الغيبة والنميمة وما ضاهى ذلك، وشغل الفكر عن حضور مجالسهم بما تستنتجه القريحة من استنباط معان مفروغة في قوالب بيان، فلا يجد للفراغ لذلك وقتاً، ولا يتعرض من تعاطي ذلك في الغالب لما يكون مقتماً، ولذلك كانت مطالعة الكتب في كل فن لا تأتي إلا بخير إلا ما وقع النهي عن تعاطيه وتضييع العمر فيما لا

¹ - أنظر المزيد فيما يتعلق بكتاب المشاهد ضمن ص 73.

طائل تحته، ولا يحسب من اشتغل بنقل العلم وبثه وحفظ بعض مسائله ممن ضيع وقته.

لكل امرئ مما تعاطاه حالة تصير له طبعاً يطابق أفعاله
فإن كان من أفعاله الخير لم يجد عن الخير أو لا كان ذلك أفعى له

ثالثها التعرض لنفحات الرحمان، الفائضة من حضرة الفضل على متعاطي العلم تعلماً وتعليماً، مع ما في ضمن ذلك من معاملة الحق في إيصال النفع للخلق بقدر الإمكان، ببث ذلك ورجاء بقاء النفع به على ممر الأزمان، مع ما في ذلك من ذكر الصالحين، وتعطير الزمان والمكان بذكر أحوالهم، وتشريف البنان بنقل شمائلهم وأقوالهم وأفعالهم، استنهاضاً للهمم للسير على ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق والأعمال الصالحة، ومعاملتهم للحق والخلق بما عاد عليهم نفعه في الدارين.

فهذه بعض البواعث الداعية إلى الإقبال على هذا الإقتراح في جمع هذا الشرح، وإن كان المدار في ذلك كله هو على النية، لا يحتاج معها إلا ذكر باعث بالكلية، ولكن بيان الدواعي له فوائد، منها إشعار الغير بمثلها باستحضارها في خاصة نفسه، فيما اهتم به من فعل شئ يريد النية الصالحة فيه، ومنها التنبيه على عدم صدور الفعل بدون داع إليه، حتى لا يلام الفاعل على ما جرى منه، ومنها كون الدواعي المذكورة في حيز التماس الأعذار المقبولة فيما عسى أن يعد من سواقط المؤلف أياً كان، لما

في ذلك من إظهار الإفتقار لما عند المتقرب إليه بذلك العمل المقصود به المولى على كل حال.

وقد سلكت في هذا الشرح مسلكا لأمسك فيه عنان القلم عن الإسهاب بالمناسبات في محلها، وإعطاء المقام حقه من البيان الشافي، والتوضيح الكافي، ولا ألتزم هذا الإطناب في كل تراجم الكتاب، فإني ربما أسلك طريقة الإيجاز، فلا أذكر إلا ما يتجلى به عن المعنى انسداد الحجب ببيان ما يطلب بيانه، وربما أعرض عن حل تركيب بعض الجمل، إما لشدة ظهور المقصود منها، وإما لعدم إدراكي لمضمونها، حيث يقصر فهمي الفاتر عن الوصول للمراد منها، وربما أنقل ما للغير في حل بعض التركيبات فأنسبها إليه في بعض الأحيان.

وأمل في ذلك ما لا أظن أنه يمل منه طلاب الفوائد بالإذعان، ولا أدع ما يستجلبه المرید في هذه الطريقة المحمدية ولا ما يستعذب الورود منه كل ضمان، بل جعلت هذا الشرح كمدونة التصوف، وجمعت فيه ما لا بد منه دون تكلف وتعسف، بحيث إذ طالعه مطالع لا يجد فيه ما يعيبه، إلا كونه صادرا عن مثلي بين الأقران، ولا يرى نقصا فيه إلا كونه ألف في آخر الزمان، مع أن المواهب الإلهية غير منحصرة فيمن تقدم، والأسرار العرفانية غير مقيدة بخصوص من تعلم، ولقد أجاد ابن مالك في خطبة التسهيل حيث قال: وإذا كانت العلوم منحا إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، ونقل صاحب القاموس في خطبته عن أبي العباس المبرد في كتابه الكامل

قائلاً: وهو القائل المحق ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا بحدثانه يهتضم
المصيب، ولكن يعطى كل من يستحق، وأنشد أبو المواهب التونسي خلال
كلام مثل هذا المقال في مثل هذا المقام:

ما ضرني إن لم أجي متقدما بالسبق يعرف آخذ المضمار

ولإن غدار ربع البلاغة دارسا فلرب كنز في أساس جدار

وكثيرا ممن حرموا بركة معاصريهم بسدل حجاب المعاصرة عليهم، فلا
ينتفعون بهم، ولا يصل خير منهم إليهم، وعند فقدهم والإطلاع على ما
خصصوا به من المزايا يودون لو فدوهم بأعز ما لديهم، والله در القائل:

تري الفتى ينكر فضل الفتى خبثا ولوئماً فإذا ما ذهب

لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

وفي مثل هذا قلت وزنا ومعنى

رب فتى يجهله قومه وما له في عصره من نظير

وبعدما يرحل عنهم يرى له كمال واحترام كبير

فإن أزهد الناس في العالم أهل عصره، وبالخصوص أهل مصره،
وبالأخص أقاربه وجيرانه، ولست أتعرض بهذه التزكية نفسي، بين أبناء
جنسي، وإنما حكيت الواقع بعد حكه على معيار التجربة لأمثالي، الذين
ألفوا الميل لكلام من تقدم، والتتويه بمقاماتهم، والإعراض عن أهل
العصر، بما حجبنا عن إعطائهم حق الأدب المطلوب منا معهم، لوزننا
لأحوالهم بأحوال من مضى قبلهم من السلف الصالح، ونقيس البعض

بالبعض مع وجود الفارق شخصاً ومكاناً وزماناً، فنحرم بسبب ذلك بركة أهل الوقت، ونتعرض بذلك من غير شعور منا للمقت، نسأل الله العفو والعافية.

نعم قد يغتر من لا اطلاع له على أمر الحقيقة باطلاعه على هذا القول فيختلج في صدره أن لي بذلك خصوصية، أو يسمع من أحد الأحبة في جانبي ما يدعوهُ إلى تخصيصي على الغير بمزية، بل أقول وهو المطابق للواقع:

إن عصراً أعد فيها فقيها
هو عصر من أعجب الأعصار
ما الفقيه الفقيه غير فقير
قد تخلى عن سائر الأوطار
وأقول في معناه:

إن عصراً يعد مثلي فيه
عالم فاضل لعصر الدواهي
قد خلا الدست للبيادق حتى
فرزنت فيه وانثنت للشاهي
وأقول في معناه:

إن عصراً قد صار يدعى إماماً
فيه مثلي لمن دواهي الأمور
قد خلا الجو فيه حتى استقلت
فوق رأس البزاة أو هي الطيور

غير أنني أتيقن أن الله مظاهر إحسان، بمحض الفضل والامتنان، تظهر في بعض الأزمان، من غير شعور المظهر بنفسه أنه من

المخصوصين بمكارم أو كرامة، ولو ظهرت على يده فلا يراها صدرت منه، ويراها من أهل للانتفاع به من أهلها، فتكون الخصوصية لمن أعطاهها حقها بعد رؤيتها، والمنقبة التامة لمن يعمل بمقتضاها ولم يلتفت إليها، ولو كان مجتهدا في تحصيلها ما لم يكن قصده الوقوف عندها، فهو نقص في المقام، وربما كان الأول أحسن حالا منه، فلهذا فإن الاعتقاد أحمد للشخص في الحلال والمآل، ولا يأتي إلا بالخير على كل حال.

ورب شخص قد اعتقد فيه غيره اعتقادا محمودا فرقاه به وصار نحاسه بسبب اعتقاده نظارا، واستحال نحسه سعادة، فينفع المعتقد والمعتقد فيه، ولا يزيد المنتقد بانتقاده إلا خسارا، ولقد كنت أشمئز عندما يصفني أحد الأحبة بأوصاف دالة على المدح لفخامة الصفات في حد ذاتها، لعدم تنزلها علي في الحقيقة، ويضيق صدري من سماعها أو رؤيتها في رسالة خاطبني بها لبعد ما بيني وبينها، فصرت الآن لا أستتف ذلك رجاء تحقيق ذلك في جانبي، فإن لسان الخلق قلم الحق، وإن لله عبادا إذا وصفوا أحدا بوصف اتصف به لا محالة، فيقول أحدهم للجاهل: يا عالم، فيحصل له العلم، ونحو ذلك مما هو محمود وممدوح.

ولا بدع في مثل ذلك فإن اللهم أسرار نافذة، وخوارق غير معتادة للنفس أخذها، وعسى أن ينفعنا الله بأهل محبتنا بصدق محبتهم، ونرجو من المولى أن ينفعهم بها، ولولا رابطة المحبة بين القلوب ما مال أحد لشيء محبوب، ولبطلت الحكمة واضمحل العالم رأسا، فإن لمغناطيسها جذب قوي بين العالم العلوي والسفلي، ومعاشقة للأرواح قبل ظهور الأشباح،

بمقتضى الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تتاكر منها اختلف¹، ولوجود الحب المتصف به الحق ليعرفه الخلق فأوجدتهم بمقتضى كنت كنز الم اعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق.

ولولا ذلك الحب المناسب لقدره العلي لبقوا في طي العدم حسبما سيتضح بحول الله عند التعرض لهذه المسألة في كلام الشيخ رضي الله عنه من هذا الكتاب، وسأورد إن شاء الله في هذا الشرح ما يكاد أن يستكفي به المرید عن غيره من كتب القوم، لاشتماله على زبدتها الخالصة، ولا أقف مع خصوص ما يتعلق بطريقتنا التجانية من أقوال الشيخ رضي الله عنه وأقوال أصحابه وأحوالهم بذكر ذلك فقط، فإن الكتاب المشروح مورد لأمر داخل في هذه الطريقة ولأمر خارج عنها، وذلك يستدعي الخوض في بحر علوم جمّة، وبسط كلام بما يناسب ما تعرض له حتى لا يعد الشرح مجحفا باستيفاء ما يطلب من اشتماله عليه، مع إعطاء كل مقام حقه من ذكر بعض أحوال الرجال الكمل المذكورين فيه، ولو على سبيل الاستطراد على حسب الإمكان.

وذلك لا يخلو عن فائدة، وأقل فائدة في ذلك للمرید تنبيهه على أن مطالعة أحوال الصالحين وقراءة تراجمهم للتأدب بأدابهم والتخلق بأخلاقهم هو من التوفيق الإلهي له وعنايته له، وما ذاك إلا ببركة تعلقه بحبل شيخه النافذ فيه سر همته، وإن ذكر مثل هذا لا ينافي الطريقة التي سلك عليها الشيخ وخاصة أتباعه، خلافا لما يعتقد بعض الجامدين الذين

¹ - رواه الإمام مسلم (كتاب البر والصلة والآداب) باب الأرواح جنود مجندة رقم 6659.

قصر لهم في الطريقة الباع، مع قصور علمهم عن معرفة من سلف من السلف الصالح، وعدم الإطلاع حتى إذا ذكر عندهم أحد الكمل كانوا من أجهل الناس فيه لإعراضهم عن معرفته رأساً ومعرفة أمثاله.

وكيف يرضى العاقل بأن يجهل أعيان هذه الأمة المحمدية ويجهل أحوالهم، ومن العجب أنه إذا ساقته المقادير للحضور ببعض المجالس وذكر أحد من العارفين، وحركه بعض الحاضرين للكلام بذكر ما عنده من أحواله يتلعثم لسانه ويود أن لو كان يعرف شيئاً منها ليظهره في ذلك المجمع فيعد ممن له كمال الإطلاع، ولكن لسوء حظه من ذلك يأوي للركون إلى إظهار أنه ليس هذا من طريقه ولا من حزبه وفريقه، ويبث ذلك لمن يليه من المجالس، وكأنه في ذلك معذور، مع أنه لا مانع له من الطريقة من أن يكون على بصيرة ممن سلف، ويعرف قدرهم بين الخلق، ألم يطلع على كلام الشيخ وما ينوه به من مقامهم ويستشهد به من مقالهم وكلامهم، و تبعه على ذلك أهل الفتح من أصحابه، فالمانع من الإطلاع على أحوالهم بعد هذا كله إما جاهل أعماه جهله فحاده عن الطريق، ويحسب بجهله أنه سالك على أقوم طريق، وهذا حسبه أن ينقاد لأهل العلم من طريقه، وينكف عما ليس من شأنه التداخل فيه من ترك الإنكار على من يطالع كتب القوم، وإما مدع للعلم فحسبه النظر بعين الإستبصار فيما كان عليه الشيخ وخاصة أصحابه من بعده، فيرى وجه الحق من ذلك في مرآته الصقيلة، وأن معرفة أحوال من مضى بالخيرات كفيلة.

غير أن الإنكباب على مطالعة ذلك مع الإعراض عن كتب طريقته و جهل أحوال الشيخ وأحوال أهل الفتح من أصحابه يعد من جفاء المرید المؤدي إلى استحقار الطريقة وما أسست عليه من استغراق المرید في محبة شيخه، لكون المحب له مغناطيس الجذب كما قلناه، والمدار الذي تدور عليه رحي الطريقة التجانية وسائر الطرق النورانية هو إعطاء المرید للطريق حقها، ويقدر قدر شيخه وطريقته، ويربط القلب بالرابطة التي لا تتحل عقدها بحبل محبته، ولا عليه بعد ذلك في استغراق جل أوقاته بمطالعة تراجم العارفين وكتب الصالحين، وما دام لم يحصل له في شيخه وطريقته رسوخ القدم في الحب، فالأولى له العكوف على ما يرجع لتقوية الرابطة في سريان سره فيه بما يشفيه، وعن غيره بما يكفيه، واللائق به في هذه الحالة الإشتغال بمعرفة طريقه أولاً، ويهتم لذلك باستفراغ البال، حتى يقدم به هذا الوصف بالفعل والحال، ويعمل على ذلك في خاصة نفسه، ولا ينكر على غيره من أبناء جنسه، وإنا لله ممن طبع على الجهل المركب، ولا حياء له في مقابلة من يبصره بالطريقة، وما انبنت عليه بإنكار ما يبصره به، ويشنع عليه بين أشياعه، فيخرج أهل التبصرة من الطريقة، وهو الخارج منها على الحقيقة.

وسأمل في هذا الشرح ما يؤيد كلام الشيخ رضي الله عنه من كلام الأئمة الأعلام في كل مسألة تعرض لها في هذا الكتاب، وإن كان كلامه يستدل به لدينا على صحة كلام غيره، فهو مؤيد لما قاله غيره ممن تقدم أو تأخر، وبكلامه تعضيد الأقوال الذي مال إليها، والعمل عندنا على ما قال

به أو عمله في الطريقة التي سلك عليها، ولكن إقناع غير المرید إنما هو بما يوافق مقاله من كلام علماء الإسلام، وقمع جحوده إنما هو بما ألفه من رسوم الأناقل عن الأعلام، فتعين الإتيان بما تتضح به المسائل المسطورة تأييدا لكلامه المحكم، لتثبيت قدم المرید في مذهب شيخه المتبوع، وإرشاد من يجهل الدلائل فيما ذكره مما هو مشروع، وذلك مما يشهد له العقل والنقل، والفرع والأصل، على رسوخ قدم الشيخ قدس سره في كمال المعرفة بالله، وأن اقتفاء أثره من توفيق الله.

ثم إنني لم ألتزم وثيرة واحدة في هذا الشرح حسبما ذكرته، وإنما يجري على طبق ما يأتي الله به من الفتح من غالب الفنون التي تطابق المشروح، وربما آتي بفن غريب في بابه باستطراد ممدوح، مع ذكرى ملحا ونوادر لترويح النفس والروح، خصوصا الأدبيات التي لا تخلو عن فائدة، وربما يتسع المجال في توضيح مادة لغوية، وتدعيم جملة نحوية، حسبما يعرض من ذلك خلل الكلام، حتى ينتفي ما يعده القاصر من الخلل في تركيب بعض الجمل، فإن المؤلف قدس سره لم يكن معتتيا بإصلاح اللسان جريا على القواعد العربية، وإنما فاضت عليه المواهب من غير استعمال الفكرة في الرسوم الآلية، إلا أنه أعطي الفصاحة في المنطق، والحظ الوافر في تقويم الخط، بتنظيم بنانه، بعد إصلاح جنانه، حسبما سأذكره بحول الله.

وأسميه تيجان الغواني، في شرح جواهر المعاني، سائلا من المولى أن يوفقني للسلوك فيه على مسلك يفضي إلى كمال رضوانه، ويسدل عليه

رداء القبول فيعم النفع به بفضلته وامتتانه، ويجعله سببا للفتح الأكبر لكل من طالعه بقلب سليم، ويكثر به الجزاء الأوفر لنا ولجميع الأحبة مع النعيم المقيم، مؤملا ممن حل بيده أن ينظره بعين القبول والرضا، وأن لا يبادر بإنكار ما هو معروض لديه قبل أن يتأمله فيولي الوجه عنه معرضا، وليلتمس من أحسن المخارج أعدارا، وليقتبس لغياب النفس الأمانة من مشكاة الحق أنوارا، فإن كل مؤلف ولو بالغ في تهذيب تأليفه وتلقيحه، في تصريحه وتلويحه، كلما ردد النظر إليه بعد خروجه من يديه تمنى أن قدم بعض ما أخره وأخر بعض ما قدمه، ورأى أن الأصوب حذف شيء ذكره، أو إثبات شيء لم يكن فيه رسمه، وهكذا الشأن في كل مؤلف كما يعلمه كل من أنصف، وما ذاك إلا أن الكمال لله ولكلامه المنزل، حتى يظهر النقص في كل مؤلف مما يعقل أو ينقل.

وكأنى ببعض الحسدة قد اطلعوا على هذا الشرح فجعلوا قراه ما يناسبهم من القدم، فنظروه شذرا، وقالوا هجرا، وأضمروا شرا، وما علي في ذلك، لأن المقصود خفي عنهم، ولم أعرضه عليهم لأستجلب الشكر منهم، ولكن قد ادخرته يدا بيضاء عند كل من صفت لهم السريرة في استمطار شآبيب الرحمة السمحاء، ورجوت به النفع لي ولمن اطلع عليه من أهل الصدور السليمة، والرجاء في الله أن يحل به نحاس النفوس السقيمة ذهابا خالصا، فتسلك به الطريقة القويمة، ويتجاوز لي ولهم عما اقتطفناه من الذنوب، ويستتر ما اشتملت عليه ظواهرنا، وانطوت عليه بواطننا، من العيوب، إنه علام الغيوب.

ولنقدم قبل الشروع في المقصود من الشرح مقدمة مشتملة على التعريف بالمؤلف وسيرته وذكر نبذة مما يتعلق بالمشروح وفضيلته، وما قيل فيه، وفي مؤلفه من الأمداح المنمقة، وما له من تأليف أخرى مروّنة، واختلاف آراء المنتقدين والمعتقدين في هذا الكتاب ومؤلفه، والذب عن حمى الطريقة وأهلها بما أراه حقا غير منتصر لباطل، والله يؤيدنا بالتوفيق في هذا الطريق، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وينحصر الكلام على ذلك في مطالب.

المطلب الأول: في ترجمته وابتداء أمره وصحبته للشيخ رضي الله عنه

هو العارف الواصل، المشهود له بالفتح اللدني، الحائز قصبات السبق في حضرات التداني، أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم بن العربي برادة¹ رحمه الله، جذبته يد العناية من أحوال التجارة الحسية،

¹ - أنظر كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 68-97 رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 118-157. جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 52-61. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 13-21. تطيب النفوس، بما كتبتة من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 63 و70 و76 و77 و79 و108 و110. الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 12-13 (مخطوط) ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 61 (مخطوط). نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة سيدي محمد الحجوجي رقم الترجمة 1. مقدمة كتاب فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للمؤلف نفسه بتحقيقنا عليه. نسمات القرب والأفضال، المبعوثة لسيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه 39. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 19. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 1. بغية المستفيد لشرح منية المرید، لسيدي محمد العربي ابن السائح 255-256. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 94 (مخطوط) أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 103-106. عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأحمد الرهوني. تعطير النواحي، بترجمة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي، لعمر بن محمد الرياحي 1: 11-16. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 15. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 40 و91 و107 و122 و138. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأمان، للمؤلف نفسه 2: 46 و133 و203 و387. غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 7: 9. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 31 رقم 69. إتحاف المطالع، لابن سوذة 1: 98. موسوعة أعلام المغرب 7: 2445. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سوذة 137 رقم 792. معجم المؤلفين، لكحالة 7: 57. إيضاح المكنون، للبيغدادي 1: 380. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 5. الدرّة الخريذة، للنظيفي 1: 111. العضب اليماني في الرد عن شيخنا سيدي أحمد التجاني، لأحمد بن محمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي 40. الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، للتصفاوي 61 و64. التجانية والمستقبل، للفتاح نور 142-143.

وأخذت بيده في سلوك طريق السعادة الأبدية، فربحت تجارته، وتوالت بشارته، قرأ ما تيسر له من القرآن، وأحسن من تجويد محفوظه، فكان مجيدا للفظ، منجدا بالوعظ، ذا خط جوهري يكاد أن يقرأ رسمه من لا يعرف الكتابة، ذا لفظ جهوري يكاد بفصاحته أن يفهم الأعجمي خطابه.

وبعد تحصيله لما قسم له من حفظ الكتاب، ونال الحظ الأوفر من تحسين الخط الذي تغبطه فيه حذاق الكتاب، وأخذ نصيبا من علوم الدين، وخرج من تقليد التوحيد بتحصيل الأدلة مع الفتح المبين، تعاطى في عنفوان شبابه حرفة التجارة، فعمر الأسواق، وانتقل من فاس إلى غيرها من البلدان، اقتناءً للأرباح بالبيع والشراء، فأقبلت الدنيا عليه، و ألفت بزمامها إليه وكان مجبولا على حب الخير مع ما هو عليه من الفطرة والنية الصالحة، فطن في أمور دينه، متغافل عن شؤون دنياه في غالب أحواله.

وفي خلال تعاطيه للتجارة كان مولعا بمطالعة كتب الصوفية، ونفسه ترتاح لسماع مآثرهم السنية، ويتشوف لملاقاة من يأخذ بيده من القوم، ويتشوف للعثور عليه في كل يوم، ونفحات القبول تهب عليه فتتعش روحه وقلبه، والبواعث الإحسانية تقوي عزمه على التقوى التي كشفت كربه، وفي أثناء ما قضاه من عمره رأى رؤيا استدلت بها على بلوغه لمطلبه وظفره، فاطمأن صدره بالحصول بما أمله وسكن روعه بالبشارة التي بشرته بالوصول إلى ما أم له، ولا زال على ذلك الحال والسائق الإلهي يحرك وجدته حتى اجتمع بسيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه في مدينة

وجدة، حين كان الشيخ رضي الله عنه قافلا من حضرة تلمسان قاصدا
الحضرة الفاسية لزيارة الضريح الإدريسي قدس سره، ولما لقيه بها ولم
يكن له معرفة بسيدنا رضي الله عنه من قبل، ذكر له سيدنا رضي الله عنه
الرؤيا التي كان رآها مكاشفا له بها، وأنه من جملة مريديه الذين يفتح لهم
على يده، وقال له سيدنا رضي الله عنه: أما تخاف من الله تتعني من
مكاني إليك، فلا حاجة لي إلا ملاقاتك، فاحمد الله على ذلك، فلما ذكر له
رؤياه وكان قد نسيها، وتحقق بما رآه وما بثه إليه من السر الذي لم ينله
من سواه، علم أن الله تعالى تفضل عليه به، وأنه رضي الله عنه هو الكفيل
له ومربيه الذي سبق من حضرة الاجتباء إليه، فألقى نفسه بين يديه،
فصحبه من ذلك الوقت، وتوجه معه لحضرة فاس، ونال في مرافقته من
بعد الوحشة كمال إيناس. وبها لقنه الطريقة الخلوتية، وألقى إليه من
الأسرار ما فيه بلوغ الأمنية، وبعد أيام لقنه الطريقة المحمدية التجانية،
ذات المواهب العرفانية، التي تلقاها الشيخ رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه السلام مشافهة، وأمره بتلقينها للخاصة والعامة، فنال بذلك
صاحب الترجمة الخصوصية، وتقدم على غيره بما اختص به من عظيم
المزية، فلازم خدمة الشيخ رضي الله عنه قلبا وقالبا بما فاق به الخاصة
من الأصحاب والأحاب، وظفر بما لم يظفر به سواه حين فتح له من
حضرات المعرفة سائر الأبواب.

وكانت مدة صحبته لسيدنا رضي الله عنه 17 عاما، من وقت تعرفه
به إلى أن توفي صاحب الترجمة سنة 1218هـ قيد حياة سيدنا رضي الله

عنه، في توجهه للحرم الشريف لأمر خصوصي بحسب النيابة عن سيدنا رضي الله عنه، صحبة بعض الخاصة من الأصحاب، وكان من جملتهم سيدنا الحاج عبد الوهاب بن الأحمر¹، أحد الخاصة من مريدي سيدنا رضي الله عنه، وحين وصوله قرب الحرم ذكر بعض الأسماء الخاصة، فحصلت له غيبة من شدة الأنوار التي تجلت له والأسرار التي فاضت عليه، فتوهم بعض المرافقين له أنه توفي، فدفنوه مع الشهداء ببدر، وقد أخبر بذلك سيدنا رضي الله عنه بطريق المكاشفة، فقال رضي الله عنه

¹ - عبد الوهاب بن الأحمر الغرناطي الأندلسي الفاسي، من أعلام الطريقة التجانية، توفي بفاس بتاريخ 2 رمضان عام 1269 هـ، ودفن خارج باب الفتوح عن يسار الطالع لسيدي قاسم الوزير، أنظر ترجمته في كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 231-238. تطيب النفوس، فيما كتبه من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 210 (مخطوط)، رفع النقاب، للمؤلف نفسه 71، جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص)، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 22 (مخطوط خاص). الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 28 (مخطوط) نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 22، لوامع الأنوار، وفيوض أسرار، وسطوع شمس وأقمار، للمؤلف نفسه 21. جلاء القلب الحزين العاني، في التمسك بالعهد الأحمدى التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 22. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص)، 46، بغية المستفيد لشرح منية المرید، لسيدي محمد العربي بن السائح 351، روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 16، رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 2:110 رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1:75 أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين، لمحمد بن أبي بكر الأزاريقي 117، سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 3:27. إفادة السامع والراوي في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 5 و 7، كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو (في مواضع كثيرة منه)، معلمة المغرب 1:181 الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21، إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 14. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 156.

لأصحابه: إن سيدي الحاج علي حرازم وقعت له غيبة فتخيله أصحابه أنه توفي فدفنوه حيا، فبقي في قبره حيا سبعة أيام، ولو لم يدفنوه لسمعوا منه علوما ومعارفا وأسرا مما لا يخطر لهم ببال، ولا يجدونه في ديوان.

أقول حدثني العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي رضي الله عنه ورحمه، أن العارف بالله سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر المذكور حدثه أن صاحب الترجمة لما ذكر الاسم الأعظم الذي لقنه سيدنا رضي الله عنه واشترط عليه أن لا يذكره إلا في تلك البقعة الشريفة سقطت قواه، واندكت ذاته، حتى أنه سقاه حليباً لبنا فخرج من مسامه عرقاً، وهو لبن كما شربه، وكان سفره للحجاز بأمر الشيخ رضي الله عنه، ومن الوقت الذي سافر والشيخ ينفق على أهله وأولاده إلى أن توفي سيدنا رضي الله عنه.

المطلب الثاني: في بعض مناقبه وخلافته وما قاله سيدنا رضي الله

عنه فيه

كان سيدنا رضي الله عنه ينوه بقدر صاحب الترجمة تنويهاً كبيراً، ويثني عليه ثناءً كثيراً، ويحث الأصحاب على محبته، ويذكرهم بعض ما يشعرونهم بخصوصيته، فكان يقول فيه: ما خلفت أحد سوى الحاج علي حرازم برادة، أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فخلفته، فخلفته كانت بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد وفاة الواسطة

الأعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي¹، الذي كان سيدنا رضي الله عنه جعله واسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم في قضاء جميع مطالبه وسؤالها منه، حيث كان سيدنا رضي الله عنه إذا اجتمع بالرسول يقظة يستغرق الفكر في التلذذ في حسن المشاهدة للذات الشريفة، وينسى في رؤيته جميع المطالب التي يعدها قبل الاجتماع به ليسألها منه، وحين الاجتماع بالرسول لا يستحضر شيئاً من ذلك السؤال إلى أن يفارقه، فأشفق من حاله صلى الله عليه وسلم، وأمره بجعل الواسطة في مشافهته بمطالبه، وأمره باتخاذ الواسطة المذكور، ولما توفي سنة 1204 هـ صارت تجتمع له مطالب ليشافه بها الرسول في اليقظة، فلا يستحضرها

¹ - محمد بن العربي الدمراوي، أحد أشهر أعلام الطريقة التجانية، توفي شهيداً بقرية عين ماضي سنة 1204 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 97-126. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 160-169. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، (مخطوط خاص) النفحات الربانية، في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 114-115. الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 124 (مخطوط خاص). جنابة المنتسب العاني فيها نسبه بالكذب للشيخ التجاني 2: 68-69. ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 114 (مخطوط). تطيب النفوس، بما كتبت من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه 58. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 293. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 3. بغية المستفيد لشرح منية المرید، لسيدى محمد العربى ابن السائح 255. مقدمة كتاب السراج الوهاج، لاقتطاف ثمرة ياقوتة المحتاج، للعلامة سيدي محمد بن المشري. غاية الأمانى، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني 9-13 رقم الترجمة 2. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضى كنون 1: 312. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 109. غرائب البراهين، في مناقب صاحب تماسين، لسيدى محمود بن المظمطية 19. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117 الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، للطصفاوي 64، التجانية والمستقبل، للفتاح نور 155-156. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر للعلامة إدريس العراقى 77 و 130.

عند الوصول، ويمنعه الإستغراق في مشاهدة الأنوار المحمدية من طلب
أمانية كما قيل:

وكم من حاجة أعددت عندي لوقت وصال محبوب الجنان
وأجزم أن أفوه بها لديه فيخرس عند رؤيته لساني

فاتخذ الشيخ رضي الله عنه بالإذن الأحمدى صاحب الترجمة خليفة
عنه، فكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ حاضر بين يدي
الرسول، فيطلبه على لسان الشيخ ويسأله فيجيبه الرسول صلى الله عليه
وسلم بما يؤمله، فتارة يكتفي سيدنا رضي الله عنه بما يسمعه مشافهة من
الجواب، وتارة يملي مضمن المشهد الذي شاهده فيه له في خصوص
كتاب، فكان سيدنا رضي الله عنه يشكر خلافته ويقول في التنويه بشأنه: لا
ينال أحد من أصحابي شيئاً إلا بواسطة سيدي الحاج علي حازم، أعطي
ذلك من غير سؤال¹.

وذلك لأن السر الذي يسري من أمداده رضي الله عنه إلى مرديه
مما يؤمله لهم بطلب منهم أو بدون طلب لا يلقيه لهم إلا بعد الإذن
المحمدي فيه، فكانت مطالبهم من مطالبه التي يستأذن فيها الرسول،
ويطلب منه بواسطة الخليفة المذكور قضاءها في مشهد الوصول، فكان
المدد الذي يسري لمرديه من حضرته رضي الله عنه ومن حضرة

¹ - أنظر الإفادة الأحمدية لمرید السعادة الأبدية، لسیدی الطیب السفیانی (باب حرف اللام)

الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو سبب وساطته لهم فيه، فلا جرم أن يكون الخليفة القائم مقام الشيخ في إدراك مأموله مشكوراً، يتعين ملاحظة وساطته بكمال الإحترام الذي صار لبرور الشيخ به مبروراً، وفي رواية أخرى عن سيدنا رضي الله عنه قال: لا يصل إلى أحد مني شيء إلا على يد سيدي الحاج علي حازم.

وفي إخبار الشيخ رضي الله عنه بهذا تنبيه للمريدين على تلقي خلافته عنه بعين القبول والإحترام، والقيام بحق تعظيمه أتم قيام، وذلك غير مقيد بحياته، ولا بكونه بعد وفاته، فتعين نظر مقامه بكمال التعظيم، فهو واسطة بين الشيخ ومريديه على العموم، وخليفة عنه في إقامة مقامه بينهم، وقام بحق شكر وساطته التي أقرت عينه وعينهم، حتى أنه كان يقول فيه: كل ما قاله سيدي الحاج علي حازم فأنا قلته، فجعل قوله مثل قوله، والقول شامل للأوامر وغيرها من إذن مطلق أو خاص ونحو ذلك، ولا شك أن سيدنا رضي الله عنه لا يصدر منه مثل هذا القول إلا مطابقاً للإعتقاد، مع بصيرة نافذة متيقنة بصدق المقول فيه، وأنه لا يصدر على لسانه إلا الصدق، وأنه يرضيه ما يقوله وما يجري على لسانه به النطق، وناهيك بهذه المنقبة الدالة على ماله من شفوف المرتبة، وما ذاك إلا لصدق المحبة في حالة الحضور والغيبة، فنال بذلك المحب الخصوصية عنده وعند النبي صلى الله عليه و سلم.

وقد بلغنا أن سيدنا قدس سره أخبر بأن النبي صلى الله عليه و سلم يحب صاحب الترجمة محبة خاصة تفوق محبة الأولاد، فهو وإن لم يكن

من آل البيت فقد نال هذه المحبة الخاصة، وهو في هذا المشرب سلّماني القدم مخصوص، فاق به الأولاد بمحض الفضل والكرم، فما نال أحد من أصحاب الشيخ رضي الله عنه مثل ما ناله صاحب الترجمة من التنويه بأمره، والتخصيص بسرّه، فارتفع بذلك قدره على غيره، وقد قال في حقه أيضا رضي الله عنه: قال لي صلى الله عليه وسلم: هو منك بمنزلة أبي بكر مني.

وتتزيله من الشيخ بهذه المرتبة عنوان على أنه وقر في صدره ما لم يظفر به غيره من خاصة الأصحاب، ونال من سر الصدق ما يعد به في الطريق كالخليفة الأكبر، الموصوف بكمال التصديق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولكمال صداقته وصدقه رضي الله عنه أوصاه عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما في مشهد من المشاهد، التي شاهدها إذ قال فيه مخاطبا للشيخ رضي الله عنه: يا أحمد استوص بخديمك الأكبر، وحببيك الأشهر، علي حرازم، فإنه منك بمنزلة هارون من موسى، ولا وصية أوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية و السلام، فهو في هذا المنزل كالأخ الصادق لأخيه الصادق في القيام بحق صداقته، والتصديق التام بما أبيض عليه في حضرة الصديقية، التي تجلى على منصبها بالوراثة المحمدية، فكان للشيخ عضدا شد به أزره، ولسانا من أسنة الشيخ قدس سره، فلتعرف بذلك قدره.

المطلب الثالث: في رواية الخليفة سيدي الحاج علي حرازم
الأسماء الإدريسية¹ عن نبي الله سيدنا إدريس عليه السلام في واقعة
روحية دلت على ماله من كمال الخصوصية

لاشك أن المفتوح عليهم تسموا بهم النفس المطمئنة إلى مراقي الرقي
في المعارف، حتى يظفر صاحبها بما تتشوف إليه نفسه من المزايا التي لا
تتيسر إلا لمن كان على شاكلتهم، وقد يختص بها البعض دون البعض
على وفق ما قدر لكل واحد منهم من القسمة التي لا حيف فيها ولا جور
يوفيها، فكلما صفت نفس من كدورات الأهواء رأت في مرآة الوجود ما لا
يراه إلا ذو بصيرة نافذة، خارقة لأستار العادات المألوفة، فتطلع على ما
وراء ذلك مما لا عين رأت ولا خطر على قلب الغافل بما يقف متحيرا.

ولا عجب في مثل هذا عند من تروحت أنفسهم في مخدع الخلوة،
وعملت على الرياضات الموافقة للطباع السليمة، المحصلة على المظنون
به عن غير أهله من الفتوحات الباهرة، ليكون لها في العالم العلوي
والسفلي مجالس أذكار واعتبار، بين قوم يعتاد الجلوس معهم في حضرات
غيبية، ليست لغيره متيسرة في كل زمان ومكان، وإنما ذلك بحسب الفيض
الذي فاض على صاحبه من حضرة الوهب بالفتح اللدني، فتجده دائما
يأنس بانعزاله عن قوم تشمئز نفوسهم من نفوره، ويتمنون أن يطلعوا على

¹ - الأسماء الإدريسية نسبة للنبي سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام، وهي أربعون إسما،
أولها سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه. إهـ.. وقد اشتهر بها
كثيرا العلامة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وله عليها شرح مفصل سماه: الروضة
السندسية في الأسماء الإدريسية.

سر حب البعد عنهم والإنزواء بنفسه في خلواته وجلواته، وما ذلك إلا لما اعتاض بهم عن مخالطتهم بمخالطة القوم الذين انحاش إليهم باطنه وأوحشه الأئس بغيرهم، فلا يميل بقلبه عنهم إلى السوى كيف ما كان، لاستفادته من أهل الحضرة ما لم يستفده من المحجوبين عنهم.

فهو دائما في عالم الغيب يجول، ومن معارف القوم الذين تعرف بهم هناك يغرف بأعظم الأواني في كل أوان، وذلك من آمارات فتح المتصف بهذه الأوصاف، شعر أو لم يشعر بهذه الحالة، وإن تحقق في سره بما حصل عليه من السر دون من سواه، ولا يتم أمره وتتجح مساعيه إلا على يد الخاصة ممن مارسوا هذه الأحوال، وميزوا في عالم الخيال ما يتراءى لهم من كل مثال، حتى لا تلعب بهم أيدي الأهواء التي لا تدوم على حال، وترمي بصاحبها في بحبوحة الأهوال، وليس له فيها من خلاص ولات حين مناص، لهذا ترى كثيرا ممن دخلوا للخلوات من غير إذن خاص يخرجون منها على أسوء حال، وربما جرت لهم الأذكار التي كانوا مشغولين بها ما لا يحمد في الحال والمآل، ولو كان لهم مستند لأحرزوا على الذخيرة العظمى في مقامهم الاسمى، الذي لا بد من تحصيل صاحب الأذكار الخصوصية والأسماء العالية عليه، وعلى المزية المنوطة به، المستودعة في خزائن الأسرار الفائضة من حضرة الوهب على الذاكرين بتفاوت في المراتب في حق كل راغب في ذلك وطالب حسب المطالب.

وكل من أخلص للحق قصده فاق غيره في هذا المقام الذي لا يفصح عما انطوى عليه من العرفان أفصح مقال، وكل من تصدى لتلقي

الفيوضات الوهمية الغيبية بلا إذن من أهل الإذن الصحيح وقف بنفسه موقف التلف العاجل بهبوب عواصف الأهواء القاصمة لظهر كل منتصب في مهب أرواحها اللطيفة، السارية في الأرواح الكثيفة، مسرى الخارق القاطع في الأشباح الفارغة والعامرة، فكان المدار الذي يدور على دائرة السلامة للخائضين في الأسرار هو الإذن الخاص من الخواص الذين ينظرون بنور الله فيمن يستحق تلك الخواص، وفق ما لديهم من أغراض وإخلاص، فمن ظفر بمن له الإذن في مثل هذه الأمور، فقد ظفر بما فيه أمان نفسه، التي تصل به إلى غاية الأمان، من حضرات التداني، ولا ينال ذلك إلا من سبقت له العناية، فهي له ذلك بالسابقة الأولى من باب الفضل، ومن هذا الباب ما وقع للشيخ التجاني رضي الله عنه في الإذن للخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، في اجتماعه بمن تحققت لهم الكرامة في حضرات الغيب التي انفتحت له أبوابها، فدخل إلى مخدعها في أمان على نفسه من الجزع والفرع، حتى نال المقصود وفق ما وعد به على لسان الصادق في المشاهد الخصوصية التي جاءت كفلق الصبح، فطابقت حضرة الشهادة بعد تجليها في حضرة الغيوب من سائر الوجوه، بالنظرة التي رفته إلى مراقبها في أقرب وقت بصدق الحب في جانب شيخه الذي ربح على يديه فكان من الفائزين.

فاجتمع في مشهد خاص بحضرة نبي الله إدريس على نبينا وعليه السلام، فتلقى عنه الأسماء الإدريسة، وأذنه في أنكارها، وأجازها بها إجازة عامة، حصل بها على الكرامة التامة، التي قلما تيسرت لغيره إن لم نقل

أنها لم تكن لغيره، ف جاء بهذا الإذن الخصوصي إلى شيخه قرير العين، وأخبره بما ظفر به من هذا السر الذي يكشف عن القلوب الغين، فأسر إليه ما أسره، وكشف عنه ضره، بتطبيق الأسماء على المسميات، وأتم إجازته الخاصة بالإجازة العامة، بين الخاصة والعامة، فاطمأن صدره وانشرح، وتم له بذلك ما كان يتمناه في غاية الفرح، و اتصلت رابطته بالرابطة الإدريسية بالإجازة الخصوصية بالإذن الخاص، وبذلك تمت له على غيره من خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه المزية، وأعظم بها من مزية، وقد اتصلت بحمد الله لنا رابطة السند إلى هذه الحضرة بالإجازة المقيدة والمطلقة بالإذن الصحيح، والله الحمد رب العالمين.

**المطلب الرابع: في رواية الخليفة سيدي الحاج علي حرازم رحمه
الله عن الصحابي الجليل أبي محمد القاضي شمهورش الجني وتلقيه
الحزب السيفي¹ عنه مشافهة بإذن الشيخ رضي الله عنه.**

قد تقدم لنا في المطلب قبل هذا الإشارة إلى أن المأذون له بالإذن الخاص من ذوي الخصوصية يتأتى له في جميع مقاصده ما لا يتأتى لغيره ممن لا إذن لهم، ولا يستبعد ما يحصل للمتروحن بالأذكار إلا الجاهل بما في طي ذلك من الأسرار العالية المقدار، ولا يزال صاحب هذا الحال يعتني الخاصة بأمره، والأخذ بيده في وروده وصدوره، لما تدعوه قابليته من تحصيل مطالبه طبق ما يؤم له في سائر وجهاته، ويأتيه ما أمله من سائر جهاته، ولهذا كان التماس الخير عند حسان الوجوه² من الأمور به شرعا، لأنه متهيئ عندهم الوصول إليه، والحصول لديهم عليه، بخلاف

¹ - الحزب السيفي، دعاء عظيم، من الأدعية المنسوبة لمولانا علي بن أبي طالب، وهذه النسبة وإن لم يعتبرها بعض علماء الظاهر فقد اعتبرها معظم السادات من أهل التصوف، كما اعتنوا بهذا الحزب وَعَدُّوه من جملة الأوراد اليومية التي وَظَّفُوها لمريديهم، وهو أيضا من الأذكار غير اللازمة في طريقتنا التجانية، وله من الفوائد والفضائل ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد أقدم على شرحه وإظهار بعض خواصه العلامة المجاهد سيدي عمر الفوتي، فبرع فيه وأجاد أيما إجادة، وتحدث عن كثير من أسرارهِ وأنوارهِ وتوجهاتهِ، وبيَّنَ مزاياه وما له من فضل، وما اشتهر به من سرعة الإجابة ونيل المراد.

كما شرحه أيضا العلامة الأستاذ سيدي محمد ابن عبد الله الشاؤني الفاسي التجاني، وذلك تحت عنوان: إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ الحزب السيفي، وأقدم على شرحه أيضا علماء آخرون من أهل هذه الطريقة، ويعود سبب ذلك للعناية الفائقة التي كان يوليها الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه لهذا الدعاء، إلى أن قال في معرض التنويه به: صلاة الفاتح لما أعلق والحزب السيفي يغنيان عن جميع الأذكار.

² - إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وفي رواية ابتغوا الخير عند حسان الوجوه، وفي رواية التمسوا المعروف عند حسان الوجوه، أنظر مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الأدب) باب ما ذكر في طلب الحوائج رقم 22018، رقم 22019، رقم 22020.

غير الوجه الحسن فإنه في الغالب لا خلاص له في الضيم، ولا يستخلص الغير من الضير، وأينما توجهه لا يأتي بخير، وفي ذلك سر يستعين به صاحبه على الظفر بالمطلوب بالإنحياش إلى الحق والإعراض عما سواه، إلا ما كان مما يوصل إليه من الخلق، فإن الوسائل تطلب من الشخص أن يعطيها من الحرمة ما أعطاه من حكم لها الحكيم، الذي خلق فهدي ووضع كل شيء في محله، ولهذا السر أوجب شكر الوسائل استيفاء لحق المظاهر حقها، فقال أن اشكر لي ولوالديك¹، وقال رسوله عليه السلام: من لم يشكر الناس لم يشكر الله².

ولقد أعطى الله لسيد الوجود عليه السلام جميع وجوه الخير ظاهرا وباطنا، فالخير منه وعلى يديه متيسر للطلاب، مفتحة لديه سائر الأبواب، فالتماس الخير لديه قد رغب فيه بحاله ومقاله، فكأنه يقول: التمسوا الخير عندي واطلبوه مني، وكذلك نوابه وخلفاؤه، فقد أرشد إلى التعلق بهم، لأنهم يهدون إلى الحق وبه يهتدون، وللمتحقق بمعنى الخير حظ وافر من التخلق به، فهو بنفسه من حسان الوجوه، فلا يلتبس الخير إلا من الخير، ولا يجد في كل ما سنع له إلا الخير، ومن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، طبق ما وردت به آثار سيد الوجود، ومنبع الفضل والجود، عليه الصلاة والسلام، فإن اتضح لك معنى حسان الوجوه في الجملة عرفت أن جميع من يدل على الحق بين الخلق فهو

¹ - سورة لقمان الآية 14

² - رواه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة) باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك رقم 1959. رقم 1960.

منهم، و قد رغب المرشد الأكبر عليه السلام بالتمسك بأذيالهم، والتماس الخير عندهم، حرصا منه على نفع عباد الله، ما اقتدى به المرشدون الوارثون منه ما منحهم الله من الخصوصية على حسب ما تلقوه عنه مما قدر لهم من القرابة الطينية والدينية، وعلى قدر تفاوتهم في القرب الحسي والمعنوي، ولكل واحد من ذلك ما يتحقق به في عالم سره، ما قرت به عينه من غير قناعة من خيره الفائض عليه من هذا البحر، الذي يمد الكون وهو في الزيادة في مد وإمداد على الدوام عليه الصلاة والسلام، وجميع هؤلاء الوجوه في الوجود رشحة من رشحاته، وقد قال المادح في حقهم:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرfa من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم¹

قد تحققوا بما يفيضه عليهم من الخير، فالتمسوا ذلك لديه، ووقفوا عند حدهم عن الخوض في هذا البحر الذي وقف الأنبياء بساحله، مسلمين لمن استحق له التنزيه اللائق بعظمته، التي دلت عليها عظمة اتساع هذا البحر الذي كانت العوالم كلها بالنسبة إليه كهيئة في شعاع الشمس تتقلب بالريح الذي يهب عليها من جانب القدرة المنزهة عن الجهة، والله في خلقه شؤون يبيدها من خزائن فضله. إلا أنه يبتدئها بالاختراع للخلق بما لم يخترعه في السابق القديم، فلا يكون شيء من الأشياء إلا طبق ما سبقت به

¹ - البيتان من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، رقم 38 و 39.

السابقة التي هي عين الحكمة في نعمتي الإيجاد والإمداد، وما ضاهاهما مما يدل على قدرة الصانع الحكيم، صنع الله الذي أتقن كل شيء، وقدر كونه في حين لا حين، فأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فتبارك الله أحسن الخالقين، فكان للأنبياء والأولياء بالتخلق والتحقق بهذا وما هو أعلى منه قدرا في المعرفة بالله ما تقف العبارة عن التتويه به، فضلا عن الإعراب عنه، حتى لا يطغى القلم بما لم يسمح التعبير به، خشية الزلق في مواطن زل فيها ذوو الأقدام الراسخة بما ألزمهم به المحقون والمبطلون ما لم يقصدوه حسب الأغراض و الأهواء الواردة عليهم في سائر حركاتهم وسكناتهم.

ولم ينج منهم إلا النادر من النادر ممن وفقه الله بالاشتغال بنفسه عن غيره، وشغله به عنهم بما يعمل به على شاكلتهم شاكلته، فقيده بالخير، وقيض الخير إليه، فأجراه على يديه، فكان من المفلحين، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح من هؤلاء المرشدين، الذين طووا مسافات السلوك، إلى ملك الملوك، في أمد قريب، وأوصلوا الخلق للحق في أقرب ما يكون بالسير الموصل للنتعم بوصل الحبيب، فمن ظفر بواحد منهم ظفر بغنى الدارين، وزال عنه العنا بما يحصل عليه من الراحة الدائمة عناية من الحق به، فيلحق بالسابقين الأولين، وإن كان ظهوره في الآخرين، فيقيض الله له من يجمع شتاته، فتصير مقاصده وإن كانت شتى مقصدا واحدا يحصرها فيه، ويحصل عليه وفق الظن وفوق ما يظن، ولهذا رغب المرشد المحق في ابتغاء الوسيلة، وهي هو، ومن أقامه الحق مقامه من

أهل الدلالة عليه المتسارعين إلى الأخذ بأيدي الخلق لنفعمهم في العاجل والآجل، تخلقا بمقتضى الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعمهم لعياله¹، غير أن لكل واحد من هؤلاء السادات مشربا خاصا به، ومذهبا تمذهب به، ومسلكا جرى عليه حسب ما أفيض عليه من تلك الحضرة التي أشرنا إليها، فصار مثلونا بلون أهل زمانه، ومنهم من خالف ليعرف مقصودا، أو يتظاهر بما ينفر عنه الخلق لاشتغاله بنفسه، وغير ذلك من المقاصد التي تخفى على من مارس أحوال الصادقين وأحوال الصديقين فضلا عن غيرهم، فيقف غير منتقد أمام مسرح تقلباتهم في المعاملات على اختلاف أنواعها، فما سرح له من الخير اقتنصه، وما تبدى له في حلة الإنكار باعد نفسه عنه، طالبا السلامة التي هي من نفس الكرامة المحترفة بالمصدق لأهل الله.

فإذا تقرر هذا عرف المطالع لهذه السطور أن كلامنا في هذا المقام مع ذوي الاعتقاد في أهل الله، المتباعدين عن مهاوي الإنتقاد، ونحن لا غرض لنا في مقاومتهم والمناضلة عن هذا الجنب بما نشيده على دعائم الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، في جلب رضاهم عنهم، أو سخطهم عن انحاش إليهم، لأن هذا الكتاب غير موضوع لهذا المعنى، ولكن توطئة لتسلية قلوب المعتقدين بما يلوح لهم من أنوار الحق في مخاطبتهم، بما يتأكد به لهم صدق ما تجلى لهم في أهل الله من الإنعطاف الباطني،

¹ - أنظر مجمع الزوائد، للهيتمي (كتاب علامات النبوة) باب فضل قضاء الحوائج رقم 13706، رقم 13707.

والتعلق برابطة الحب الصادق في جنابهم. أتينا بما أعربنا عنه في هذا المقام وفي غيره طبق ما سنح لنا من غير استعداد لذلك، ولا قصد منا في كتبه، وإنما نمليه حسب الوارد الذي لا ينبغي إهماله، وإلا فالمقصود الآن هو التعرض لما ترجمنا له هنا من كون الخليفة سيدي الحاج علي حرازم تلقى عن الصحابي الجليل أبي محمد شمروش الجني بالإذن الخاص من الشيخ رضي الله عنه له في الإجتماع به وحيث كان الغالب فيمن لا اعتقاد له في الخليفة المذكور بل ولا في الشيخ رضي الله عنه يبادر بإنكار هذا ونحوه، ضربنا صفحا عن الخوض مع هؤلاء القوم، وقلنا لهم: الكلام إنما هو مع المعتقدين.

فإنه بلغنا على لسان الثقة أن الشيخ رضي الله عنه أذن للخليفة المذكور بالإجتماع مع هذا الصحابي لتقلي ما ذكر عنه، فاجتمع به في مغارة أرشده الشيخ رضي الله عنه إليها، فتلقى معه بها، وروى عنه الحزب اليماني، وجاء بالنسخة التي صححها عليه إلى الشيخ قدس سره، وبلغه سلامه وإجازته، وأخبره بأحواله، وما شاهده من حسن هيئته وسمت وقاره ورقة صوته، فكان الخليفة بهذه الرواية عن هذا الصحابي الجليل معدودا في حيز التابعين الذين اجتمعوا بالصحابة رضوان الله عنهم، اجتماعا متعارفا طبق الإصطلاح المقرر في ذلك.

و قد حلت بيدنا و الحمد لله النسخة التي رواها عنه منصوصا فيها على المحل المطلوب عليه حال ذكره¹، كما سنتعرض بحول الله لذلك عند الكلام عليه داخل الكتاب، مع الكلام على شيء منوط بشروط تلاوته وبعض ما يتعلق بخواصه الظاهرة و الباطنة، مع زيادة إيضاح في تحقيق رواية هذا الحزب عن سيد الوجود صلى الله عليه و سلم، و بيان السر في عدم روايته عنه إلى الزمن الأخير، و لم يحفظ عن الصحابة قبل هذا الصحابي رضي الله عنه، و ما قيل في ترجمة هذا الصحابي، والكلام على من نفي صحبته، و ما قيل في وفاته. فقد قيل أنه توفي زمن العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي، وشاع خبر ذلك عندما أخبر أهل عصره بذلك. والحق إن شاء الله أن هذا الصحابي لم يمت إلا بعد ذلك.

¹ - وقفت على نص هذه الوثيقة بخزانة العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي الله عنه، وتبركت بها، وهي عبارة عن ورقة طويلة ملفوفة، يصل طولها إلى ما يناهز نصف متر، أما عرضها فلا يزيد على شبر واحد، وتشتمل هذه الوثيقة على النص الكامل لهذا الدعاء بخط مولانا الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، مع بعض الملاحظات المكتوبة بخط سيدنا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وهي ثلاث أو أربع ملاحظات، بالإضافة لخطٍ آخر كتب على بعض جوانب هذه الوثيقة، وهو غير شبيه بالخطين المذكورين، والغالب على ظني أنه خط الصحابي الجليل سيدي شمروش الجني.

وقد سمعت من سيدنا الوالد رحمه الله أن هذا الصحابي توفي في حدود عام 1270هـ، تزيد بيسير أو تنقص، طبق ما أخبر بوفاته في اليوم الذي توفي فيه من حضر لجنازته، وهو الشريف البركة الملامتي الشهير سيدي محمد الدباغ الملقب بأبي طربوش¹، المتوفى بالوباء صبيحة يوم السبت 15 محرم عام 1285هـ، ودفن بضريح جده القطب الشهير سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه، فقد كان صاحب أحوال غريبة، وللناس فيه اعتقاد كبير، وقد طاف يوماً بأزقة فاس مخبراً بوفاة هذا الصحابي، ويحض بنفسه الناس على الحضور لجنازته بالمقطع المعروف خارج باب الشريعة من مدينة فاس، فخرج كل من له اعتقاد فيه، حتى أن بعضهم أخبر بأنهم سمعوا رجة الجن الحاضرين في هذه الجنازة، و من لم يكن له اعتقاد في هذا السيد اتخذ ذلك من قبيل الخرافات، ولم يصدق بذلك، و الله أعلم بحقيقة الأمر.

الكلام على شرحه لهمزية البوصيري² رضي الله عنه

منذ سمعت بهذا الشرح ونفسي مشتاقة إلى الوقوف عليه، حتى أنني رأيت ليلة رؤيا اجتمعت فيها بمفتي الحضرة الفاسية المرحوم السيد محمد

¹ - محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز، فقيه فاضل، غلب عليه الإهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزيارج، كان كثير التردد على مدينة مراكش، وقد أقام بها مدة طويلة عند بعض بني عمومته القاطنين هناك، توفي بفاس صبيحة يوم السبت 15 محرم عام 1285 هـ - 8 ماي 1868م، ودفن إلى جانب قبر والده داخل ضريح جده الولي الصالح سيدي عبد العزيز الدباغ. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 240. معلمة المغرب 12: 3963. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 6: 320. موسوعة أعلام المغرب 7: 2637.

² - المراد به كتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التجانية، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي.

ماني الصنهاجي¹، التجاني طريقة، وطلبت منه أن يعيرني هذا الشرح بقصد نسخه، فأخرج لي نسخة في عالم تلك الرؤيا، لازلت أنظر إلى الآن حسن خطها والرونق المنسوج عليها، وداخلني فرح عظيم بتحصيلي عليها، حتى استيقظت من فرط ما داخلني، ثم اجتمعت به رحمه وأخبرته، فأخبرني بأنه وقف على الشرح المذكور، ولم يتيسر لي التحصيل عليه في ذلك الوقت، غير أن الحق تعالى يسر لي بعد ذلك العثور عليه بخط يد

¹ - محمد بن محمد بن المفضل الصنهاجي، المعروف بماني. فقيه نوازلي مدرس بياني منطقي، صوفي فاضل. من مواليد مدينة فاس سنة 1260 هـ-1844م، وبها نشأ مولعا بطلب العلم بصورة استرعت انتباه كافة أقرانه وأصدقائه، وقد أخذ على يد ثلثة من جهاذة علماء القرويين.

له مؤلفات مفيدة منها: حاشية على الرسالة العضدية، وتأليف في الكلام على حديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، سماه: بشارة تسر الناظرين في شرح حديث لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين (في نحو ثمانية كراريس) ومن كتبه الأخرى تأليف في مسألة الكسب، وتأليف في الإبتداء بالكرة، وتأليف في مجال الصيام، تكلم فيه على أن الصوم في السفر أفضل من الفطر، وتأليف في التعريف بمعاد ومعود ابني عفران المذكورين في الشمانل، ومنظومة في البدرين، وختمة لصحيح البخاري وغير ذلك.

توفي بفاس بتاريخ 11 ربيع الأول عام 1333 هـ- 27 يناير 1915م، ودفن بالقباب بجانب ضريح الشيخ احماموش، ورثاه أحد تلامذته بقصيدة لامية قال في مطلعها:

يا صاح لا تركزن بظل زائل	واسعى لنفسك واتعظ بالراحل
وانظر سراة القوم كيف تيمموا	رشدا ولم يرضوا بنيل العاجل
رغبوا عن الدنيا الدنية عندما	قطعوا بحسن يقينهم للأجل
بكت السماء لفقدهم وفضلهم	ويحق أن يبكي لموت الفاضل

أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2: 410. سل النصال، للمؤلف نفسه 10 رقم ترجمته 4. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2: 170-172 رقم 71. موسوعة أعلام المغرب 8: 2884-2885. معلمة المغرب 16: 5569. مختصر العروة الوثقى، للحجوي 6 رقم الترجمة 21. نيل المراد بمعرفة رجال الإسناد، للعلامة محمد الحجوجي (مخطوط خاص). زهر الأس في بيوتات أهل فاس 1: 570. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم 126. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة نفسه، الجزء السابع (مخطوط خاص). الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام 7: 210 رقم 946.

مؤلفه، فنسخت منه بخط يدي ما قدرت على نسخه، وأتمه لي بالنسخ بعض الأحباب، فهو تحت يدي الآن، غير أنه يحتاج إلى تنقيح وتصحيح.

وقد تلقى مضمونه مؤلفه رحمه الله عن شيخنا رضي الله عنه، أملاه عليه شيئاً فشيئاً، وقد أجاد فيه وأفاد، وأوجز وأطنب، وأعجب وأغرب، وسنورد أثناء هذا الشرح جملة منه إن شاء الله حين يستدعي المقام لنقل ذلك إتماماً للفائدة، وقد صدح بلبال المحبة في هذا الجنب فترنم بهذه الأبيات في تقريضه فقال:

ماذا تبدى لنا من داخل السفر	حتى غدونا به في حالة السكر
كأنما الخمرة استولت بلعبتها	بعقلنا ولقد ملنا عن الخمر
صرنا سكارى بما كدنا نظير به	من السرور الذي قد قرّ في الصدر
لولا تثبتنا في حالنا لخلعنا	نا للعدار ولم يحتج إلى عذر
لكن دهشنا من الحسن الذي بهرت	آياته ضمن هذا السفر من سحر
سفر تكامل فيه شرح همزية	لشيخنا برزخ العرفان والسير
لله شرح به للناس قد شرحت	صدورهم دائماً في الجهر والسر
يشفي بما فيه مجموع لطالبه	وما حوى من ثمين العلم والخبر
يحي القلوب ويذهب الكروب بما	في ضمنه من بديع النظم والنثر
ما إن سمعنا بشرح مثله جمعت	فيه العجائب من بر ومن بحر
في ظاهر آية كبرى لنا ظهرت	تكاد أنوارها تعمي ذوي النكر
فلتقتبس من سنا أنواره قبسا	فإنه يذهب الدجى مدا الدهر
لم لا ومبديه بحر العلم سيدنا	الختم التجاني الذي علا على البدر

عنه تلقاه ذو التقوى خليفته علي حرازم وهو صاحب السر
فإنه يجزيه خيرا عن كتابته وجمعه ويوافيه من الأجر
والله ينفع كل المعتنين به ومن لنا بالدعا لسانه يَنجَري

الكلام على تأليفه المسمى برسالة الفضل والإمتنان

وهي رسالة لطيفة اشتملت على مقدمة ومقصد وخاتمة، فالمقدمة في حقيقة المرید الصادق، والآداب المرضية له بين يدي شيخه وفي غيبته، والأمور التي تقطع بين الشيخ ومريده وتصدده عن حضرته، وصدر هذه المقدمة بقاعدة هادية، لأنواع الرشد والفلاح داعية، والمقصد في فضل الشيخ رضي الله عنه وما خصه الله به، وفي فضل ورده، وما أعد الله لتاليه ولمن صحبه من المؤمنين، والخاتمة في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها أفضل من جميع الأعمال الذكرية.

وهذه الرسالة في نحو كراسة، أولها: الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه بنور معرفته، وملاءها بشهود عظمة جلاله وجماله من هيئته ومحبته، وعرفهم به فعرفوه إلخ... ووافق فراغها في 11 جمادى الأخيرة سنة 1208هـ، فهي مؤلفة قبل إتمام كتاب جواهر المعاني، وقد قلت في تقريضا حين عثرت عليها عند صاحب السر المودع في الصدر، ذي الفتح الظاهر، والنور الباهر، المقدم البركة الشريف سيدي محمد بن الطيب الصوصي العلوي، وعنه نقلناها ونسخناها:

هذي الرسالة فيها السر قد جمعا
يحضى بها بهناه وفق مطلبه
جاءت على وفق ما يهواه طالبها
أكرم بمن جاد بين العارفين بها
وقلت فيها أيضا:

رسالة الفضل والإمتان
ولم تزل في حسنها المزدان
قرت بها للطالب العينان
علي حرازم رفيع الشأن
تضمنت جواهر المعاني
غالية القيم والأثمان
جامعها خليفة التجاني
وقد أتت في أوضح البيان
لطالبي الأسرار والعرفان

وقد ذكرت هذه الرسالة في ترجمة مؤلفها رحمه الله من كتابنا رفع
النقاب بعد كشف الحجاب¹، فليطالعها هناك من أرادها، وبالله التوفيق،
وقلت فيها أيضا:

¹ - أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج 4

أنظر إلى هذي الرسالة إنها جمعت محاسن قد سبت أهل النهى
تهدي المرید إلى النجاة وكل من وصلت إليه سباه منها حسنها
في ضمنها ما لا أوفي شكره من كل مفخرة رفیع شأنها
ما إن رأينا في الرسائل مثلها وبغيرها في القدر يرجح وزنها

الكلام على تأليفه (المشاهد) المسماة بالكنز المطلسم، في حقيقة

سر الإسم الأعظم¹

هذا التأليف وقفت عليه بخط مؤلفه سيدي الحاج علي حrazم، غير أنه مبتور أولاً وأخيراً، وقد اشتمل على مشاهد رآها وشاهد فيها من الأنوار والأسرار ما يبهر الناظر ويدهش السامع، لما أبداه فيها من الغرائب والعجائب التي يكاد بها صاحب القدم الراسخة في محبة الشيخ رضي الله عنه من ذوي العلم فضلاً عن غيرهم أن تحصل له الحيرة، فقد وصف في كل مشهد منها ما شاهد من تلك المشاهد بعبارة اتسعت في

¹ - وقفت على نسخة من هذه المشاهد بخط جامعها الخليفة الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حrazم برادة، وتحتوي هذه النسخة على ما يقارب الثلاثين مشهداً، وهي في غاية الجودة والنسق وحسن الخط، والذي يبدو أنها مبتورة من الجهتين المقدمة والمؤخرة، والظاهر أن عدد صفحاتها قد تقلص إلى ما دون النصف، بحيث لا يزيد عددها الحالي على خمسين صفحة.

مما يدل على أن أيادٍ خفية قد عبثت بهذه النسخة، بيد أن ذلك لا يضر، خصوصاً بعد عثورنا ضمن كنانيش العلامة سكيرج على عدة مشاهد، نقل معظمها عن نسخة شيخه سيدي أحمد العبدلاوي التي هي من أصح النسخ بالإتفاق.

وللعلامة سيدي أحمد سكيرج أيضاً نسخة من هذه المشاهد كتبها بخطه، وكان قد أعارها لتلميذه السلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ إبان منفاه بالعاصمة الفرنسية (باريز) وبقيت عنده إلى حين وفاته، لتضيع ضمن جملة من الكتب الأخرى التي ضاعت في تركة السلطان المذكور.

مجالها، وضافت على من ليس بمعدود من رجالها، وما قصر من التتويه بما ضمنه من الكلام على الإسم الأعظم والفاتحة وصلاة الفتح، مع التعرض لمناقب الشيخ رضي الله عنه ومناقب أصحابه وفضائل طريقته، ولم أرى ولم أسمع كلاما ولا تأليفا ممن تقدم قبله إلى الآن نحا منحاه في إطلاق عذبة لسانه، وبديع معاني بيانه، مع فخامة التتويه بالمقام الذي يشاهد فيه تلك الوقائع التي تحضر فيها العوالم العلوية في بساط الأنس، ويتلقى فيها عنهم ومن غيرهم من الحاضرين معه من ذوي المراتب العلية ما لا يكاد يخطر ببال.

يكاد سامعه يحار من عجب ولا عجيب إذا ما صار حيرانا
ما كان يخطر بالبال الألى عقلا وجود مالهم أبان تبياننا

وغالب تلك المشاهد مدارها على حضور الحضرة المحمدية عليها السلام، مع الخلفاء الكرام، فيخاطبه في عالم تلك الوقائع بمحضر الشيخ التجاني رضي الله عنه، ومرأى منه ومسمع، ومع ذلك يأمره عليه السلام بأن يخبر الشيخ بما يقوله له عليه السلام، وما يمليه عليه من الأسرار التي لا تحتملها نفوس ضعفة العقول استعظاما لشأنها، ولا يقبل مثلا ذلك إلا من كان فانيا في محبة المتكلم به، بحيث لا يؤثر فيه ما يمليه عليه أدنى أرتياب فيما ناله في تلك الحضرات من شغوف المقام بكمال الإحترام.

ولهذا يتعين على من حلت بيده هذه المشاهد أن يشد عليها يد الضنين، ويعض عليها بالنواجذ، بل ينبغي له أن يدفنها في زوايا الخمول، ولا يطلع عليها إلا من يأمن عليه الفتنة في الاعتقاد، ويخشى على نفسه إن لم يكن من النقاد الذين حرروا التوحيد كما ينبغي في حق أمثاله، حتى لا يطمح به النظر لما تعطيه ظاهر العبارة، فيحمد على ما يبدو له منها باعتقاد ظاهر ذلك على ما هو عليه، فيقع الإنكار عليه أو يبادر هو بالإنكار بنفسه إلا لم يكن من المتشبهين في الأمر الذي يتجلى لهم من تلك العبارات الممزوجة بما لا يليق بالقاصر أن يجريه على فيه، ولا شك أن قصارى القاصرين الإنكار على ما يدركه المدركون وما لا يدرك، وما يعقلها إلا العلمون.

فإياك يا أخي من مطالعة هذه المشاهد، فقد اشتملت على ما تزل به الأقدام، وتزلق عنه الأفهام، بظاهر العبارة عند حملها على ما لا يليق بالحضرة، خصوصا عند المتفهمة أمثالنا، والمتفكرة أمثالنا المولوعين بالبحث عن الغرائب وإظهارها لمن لا يستحقها، فلا بد من كتم هذه المشاهد عن ليس من أهلها، خشية أن يرتاب في فضلها.

وقد كان العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدولاي رضي الله عنه لا يطلع على نسخة المشاهد التي على ملكه إلا من ومن، ممن يتيقن باعتقاده ويأمن انتقاده¹، وقد كان يطلعني عليها مرة بعد مرة، ويتفرس في حالتي عند مطالعتي لها، خشية أن أتأثر بمحل أقرأ منها من المشاهد، وفي بعض الأحيان ينزعها من يدي قبل إتمام مطالعة المشهد الذي يأذن لي في قراءته بمحضره، ويأمرني بسرده وهو يسمع، وفي أثناء ذلك ينزعه من يدي لما يلوح له على أسرتي بفراسته في أحوالي وما يظهر لجنابه، حتى دفعها إلي بالإذن الخاص ومكنني منها.

واخبرني رضي الله عنه بأنها قد اشتملت على مشهد كل من طالعه بغير إذن يصاب بمصيبة أقلها أن تفيض نفسه في حين قريب، وقد وقع ذلك لأحد أحبابه نهاه عن مطالعتها فطالعتها حتى مرّ بالمشهد المشار له، فأصيب بحمى لم يستوف معها ثلاثة أيام حتى توفي رحمه الله، ولقد رأيت كثيرا من الأحباب ولعوا بمطالعة هذه المشاهد من غير إذن لهم فيها، وأكثروا من استنساخها، مع أنهم في غنى عما انطوت عليه من الأسرار، بما ذكره سيدنا رضي الله عنه من الثواب والفضل المنوط

¹ - يُذكر عن الشريف البركة سيدي أحمد العبدولاي أنه كان شديد الحرص على كتاب المشاهد، بخيلا به، لا يسمح بإظهاره لأحد من زواره إلا نادرا، وقد طلب منه ساداتنا الفقراء يوماً أن يسرد لهم مشهداً أو مشهدين منها، وألحوا عليه في الطلب، ولم يجد مجالاً للإعتذار لهم عن هذه المسؤولية، فوافقهم على ذلك شريطة أن يجتمعوا في مجلس واحد، ويقرأ كل واحد منهم ورداً من صلاة الفاتح لما أغلق يزيد عدده على الألف، وذلك قبل أن يشرع في سرد مشهد من هذه المشاهد، ومن غريب ما حصل أن النوم أخذ مأخذه من جلّ هؤلاء الفقراء، وأصابهم الإرهاق، ولم يستطع أحد منهم الإستماع لسرد المشاهد ولا مواصلة المجلس المذكور.

بالأنكار اللازمة والغير اللازمة، بما فيه كفاية عن التشوف لما اشتملت عليه تلك المشاهد، لدى كلِّ مقرّ أو جاهل أو جهول معاند، ولقد أفضى الحال بكثير ممن ولعوا بالتبجح بما لديهم من أسرار الطريقة ويعدون ذلك من جملتها واختلاق بعض الأذكار ونسبها للشيخ رضي الله عنه ولخاصة أصحابه.

وقد نحا بعضهم منحى هذه المشاهد فكتب مشاهد تحاكيها في العبارة، ونسبها للخليفة سيدي الحاج علي حرازم المذكور، وهي ليست من مشاهده الحقيقية¹، وجلها متداول بين أيدي إخوان هذا الزمان، خصوصا من يدعي منهم الخصوصية، وهم عنها بمعزل في أبعد مكان. ولنذكر في هذا المحل طرفا من خطبة هذه المشاهد التي وقفت عليها بخط المؤلف، فقد قال منها: أحمده حمدا معترفا له بما قد صرت غارقا فيه من نعمه، وأشكره مستزيذا مما هو له أهل من فضله وجزيل إحسانه وجوده وكرمه، فلك الحمد إلهي وسيدي ومولاي على ما أوليت وتوليت من إيجاد وهداية، فكن الحامد عنا لما طلبت من المحامد منا، فلك وبك ومنك البداية والنهاية، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات

¹ - وقفت بالخرزانة السكيرجية على ثلاث مشاهد مكتوبة بخط رديء، نسبها صاحبها للخليفة بواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، مع ما فيها من الركافة واختلال الجمل والأخطاء النحوية والبلاغية وغيرها.

وقد كتب العلامة سكيرج بخطه الجميل على ظهر هذه المشاهد الثلاث ما نصه: ليعلم الواقف على هذه المشاهد الثلاث أنها مكدوبة على سيدنا الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، لا علاقة له بها، وليست لها أدنى صلة بمشاهده العظيمة المسماة بالكنز المطلسم، والله حسيب من اختلقها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وقد حصّلتُ على نسخ كثيرة من كتاب المشاهد، وهي بخطوط مختلفة، فلم أقف فيها، والله الحمد، على شيء من هذه المشاهد الثلاث المختلفة.

والأرض وما بينهما العزيز الغفار، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار، المخصوص بأعلى مقامات الحب والقرب والشرف والفخار، المتوج بتاج الكمال، لابس خلع المهابة والوقار، شمس بهاء الوجود ونور الأنوار، صلى الله عليه و سلم صلاة كاملة مطلقة عن الإنصرام والقيود والحد والمقدار، وعلى كافة آله وأصحابه المصطفين الأخيار، وسلم تسليما دائما أبدا بلا انقطاع ولا انحصار.

وبعد فإن هذه المشاهد العظام، التي أبرزتها حقيقة سيد الأنام، عليها من الله أفضل صلاة وأزكى السلام، لحضرة شيخنا الهمام، واسطة عقد حضرة الولاية، وعلم أهل الحفظ بالرعاية والعناية، عماد الملة والدين، ومحل رحال الطالبين، لسان الشريعة والحقيقة، وترجمان ما اعتاص من مقفل كلام أهل الطريقة، مسابير السالكين وأمانهم من أراجيف الضلال، وتميمة عقول المجذوبين من صدمة شعاع الكمال، إمام الواصلين، ونخبة المقربين، ورافع لواء العارفين، وسلطان المحبوبين، صاحب الهمة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الدافعة، مجدد ما عفا من الدين بعد أن لم يبق منه إلا اسمه، ومحي ما دثر من طريق أهل الله حين لم يوجد منه مع من يظن به تحقيقه إلا رسمه، قطب الحال والمقال، وإمام جامع أهل الفضة والوصال، سيدنا وأستاذنا واعتمادنا، ووسيلتنا إلى ربنا، أبو العباس مولانا أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه، على لسان بعض تلامذته، مترجما فيها عن حاله ومقامه، وما خصه الله به من محض فضله وكرمه وجوده وإنعامه، وواسطة بينه وبين إمامه، وسميت هذه

المشاهد بالكنز المطلسم، في حقيقة سر اسمه الأعظم، وفيه فصول إلخ...
المشاهد التي ذكرها في مراتب الإسم الأعظم وصلاة الفاتح لما أغلق
بمراتبها الظاهرة والباطنة وباطن الباطنة وغير ذلك مما يقف العاقل دونه
منكس الرأس، متحيرا في ميدان تلك الفيوضات الغريبة التي برزت من
حضرة الغيب في دائرة الخيال، والمشاهدة الخاصة وقد نقلنا ما لا بأس
بنقله في بعض كتبنا في الطريقة، وسقنا منها في هذا الشرح ما رأينا نفعه
لمطالعه، والله الموفق، وقد قلت في تفريظها:

إن المشاهد أمرها من أعجب العجب العجاب
في كل ما اشتملت عليه ماله تعنوا الرقاب
تعنوا لها أهل الفتوح كما عنت أهل الحجاب
لله ما في ضمناها ما ليس يحصر في حساب
وبدا بها وبها اختفى من كل طيب مستطاب
ما إن رأيت مثيلها فيما يؤلف من كتاب
فاعجب لمن هي عنده إن لم يطر فوق السحاب
جمعت غرائب جملة وعجائبا من ألف باب
فإذا ظفرت بها فلا تسمح بها للمستراب
فالشيء إن يك معجبا فيه يحاذر ذو الصواب
صنها عن الأغيار حتى عنك صنها باحتجاب
فتنال سرا باهرا والله يمنحك الثواب

الكلام على الكناش المكتوم¹

قد اطلعت على هذا الكناش عند ورثة حفيد مؤلفه الخليفة المكرم رحمه الله قبل أن تدخل إليه يد التفريق، فوجدته جزءا اجتمع فيه من أذكار الطريقة التجانية وأسرارها المتلقات عن سيدنا رضي الله عنه بخط يد الخليفة المذكور رضي الله عنه وخط سيدنا رضي الله عنه وخط بعض الخاصة من أصحابه الذين أخذوا عنه مشافهة ما أعدته من الذخائر العالية النفس، مما يتنافس في التحصيل على نفائسه المتنافسون.

وكان مؤلفه رحمه الله قد جعله مبيضة بما كان يتلقاه عن سيدنا رضي الله عنه ريثما يجعله تأليفا خصوصيا، مما يظهره في حيز التأليف، وما يتركه في زواية الكتمان عن لا يستحقه، ولقد بالغ في إسدال رواق ستر ما أودعه فيه من الأسرار تحت حيلة الرمز العددي والحرفي، مما لا يفكه إلا من له إطلاع تام باصطلاح ذلك، غيرة على الأسرار من أن تقع في يد من لا يستحقها، بحيث ينشد لسان الحال ذلك قول القائل:

السر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتحه والباب مقفول

لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند شرار الناس مبذول¹

¹ - وقفت بالخرانة السكيرجية على صفحات مختلفة من هذا الكناش، مكتوبة بخط الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، تشتمل على أسرار مختلفة ومزايا وخواص عالية، غير أنها للأسف ليس بصفحات منتظمة، بل متفرقة، وتزيد في عدّها على عشر صفحات، وهي من الورق المتوسط الحجم، والواضح أن صفحات هذا الكناش كانت تزيد على ثلاثمائة صفحة، بدليل أن رقم إحدى هذه الصفحات هو 303، وللأسف الشديد فقد ضاعت جل صفحات هذا الكناش، ودخلت في خبر كان.

ولم تمض أيام قلائل على هذا الكناش عند الورثة المذكورين حتى صارت تتدواله الأيدي، ومزق كل ممزق على ما اقتضته أهواء من حل بيده، فمنهم من أخذ منه أوراقا بقصد بتر بعض الأسرار، حتى لا تقع في يد الأشرار، ومنهم من أخذ منه بقصد التبرك بحمل ورقة منه حرزا حصينا له من الأكدار والأغيار، بدفع نصيب له بال من المال في التحصيل على ذلك ممن تملكه من الورثة المذكورين، ومنهم من فعل غير ذلك وفق ما ظهر له، والله عليم بذات الصدور، وفي هذا الكناش قلت:

إن هذا كناشنا المكتوم فضله في طريقنا معلوم
 كم حوى من سر كبير ودر ضمن تيجان شيخنا منظوم
 قد رواه عن التجاني الذي أبداه فينا وكأسه مختوم
 ياله من سفر عظيم عديم المثل والسر طيه مرسوم
 فاح طيبا ما حل فيه من السر وهل شم عرفه مزكوم
 لا وحق الذي به إن غير المستحق له به محروم
 إن للسر غيرة عنه تنفي غير صاحبها وذا معصوم
 فاجتهد أن تكون صاحب سر إن صاحبه به مرحوم
 واكتم السر إن ظفرت به فالسر عن غير أهله مكتوم

¹ - البيتان لمولانا علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما، وفيه صيغ عديدة مختلفة منها:

السر عندي في بيت له غلق
 ما يكتم السر إلا كل ذي ثقة
 قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
 والسر عند خيار الناس مكتوم

الكلام على كتاب جواهر المعاني

قد أشرنا لبعض ما يتعلق بهذا الكتاب الذي نحن بصدد التعليق عليه بما يفتح الله من المواهب اللدنية، ولقد حدثني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي رحمه الله بأنه بلغه عن الشيخ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه في بعض مشاهدته على الاحتفاظ على هذا الكتاب لينفع الله به بعض الأولياء بعده.

وقد نظر إلي رضي الله عنه بنظرة كدت أن أغيب بها عن حسي، وقال لي: أرجو أن تكون منهم فتنفع به وينفع الله به على يدك، مع كلام آخر لا ينبغي ذكره هنا. ولما شرعت في نظم¹ هذا الكتاب وأطلعته على ما ذكرته في كشف الحجاب استحسنت ذلك، وبشرني بما اطمأن به الصدر والله الحمد. غير أنه أشار علي بترك إتمام ذلك النظم بما ذكرته في كتابي

¹ - هو نظم غير تام يزيد عدد أبياته على 250 بيتاً، افتتحه بقوله:

بنعمة الإيمان والإسلام
في حالة السراء والضراء
وجوده وجودة امتنانه
ومنه نستوجب فضله الجميل

الحمد لله على الإنعام
حمداً يوافي سائر الألاء
والشكر دائماً على إحسانه
شكراً يليق بجنابه الجليل

إلى أن يقول في مطلع المقدمة:

في طبقات السادة الأعيان
قد شيدت على أساس العلم
قامت وما فيها من ارتياب
على التخلق بخلق الأصفياء

قال الإمام العارف الشعراني
إن طريق القوم عند القوم
فهي بالسنة والكتاب
مبنية عند جميع الأولياء

إلى أن يقول في آخر هذا النظم غير التام:

لا العكس وهو ظاهر وجيه
عليهم من أجهل الناس يرى
لكان ذا بالعكس دون وهم

وكل صوفي عندهم فقيه
وحاصل القول فإن المنكر
لولا المزية التي للقوم

رفع النقاب¹. وسأعرض له بحول الله أثناء هذا الشرح الذي دفعته يد المقادير لتأليفه، معرباً فيه عن كل ما يستحسنه المعتقد، ويتعجب منه المنتقد، ويتخذ المنكر حجة على تأييد إنكاره، بإفصاحي عما يختلج في صدره من الأوهام التي تزيد في أكاره، إلا إذا ساقته العناية، فألقى سلاح الإنكار، واستفاد من التسليم لأهل الله ما ينفعه في هذه الدار وتلك الدار. وقد ظهر لي أن أقدم الكلام أولاً على ما تمسك به المنتقدون على هذا الكتاب في انتقاداتهم التي أبدأها الباحثون عن العورات منهم، وأختصر المقال في هذا المقام معهم قبل أن أنقل ما مدح به هذا التأليف الجليل، ثم نرجع بعد ذلك لإتمام الكلام عليه، ويتم المقصود هنا في مقاصد.

المقصد الأول فيما انتقد به على كتاب جواهر المعاني

قد انتقد بعضهم على كتاب جواهر المعاني بأنه منتحل من كتاب المقصد الأحمد في التعريف بسيدي ابن عبد الله أحمد²، تأليف العلامة الشهير أبي الطيب سيدي عبد السلام ابن الطيب القادري. وهذا الكتاب جل

¹ - أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج (ترجمة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم) 4:

² - كتاب المقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد، للعلامة سيدي عبد السلام القادري، طبع على الحجر بفاس، ووافق الفراغ من طبعه منتصف شهر جمادى الثانية سنة 1351 هـ، وهو في جزئين، يقع الجزء الأول منهما في 180 صفحة، أما الثاني فهو في 200 صفحة، تحدث فيه مؤلفه عن شيخه العلامة العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن، فافتتح الكتاب بخطبة، ثم تناول بعدها تراجم والدي الشيخ المذكور ونسبه وعشيرته الأقربين إليه، كما تحدث عن شيوخه ونشأته وتصوفه، وعن مراحل تعليمه وأخذه لطريق القوم، ثم انتقل منها للحديث عن سيرته وأخلاقه، وما له من مواجد وأحوال ومناقب، وما أجرى الله على يديه من كرامات، كما ساق في الوقت نفسه جملة وافرة من القصائد التي قيلت فيه، وختم الكتاب بتراجم موسعة لبعض كبار شيوخه، كوالده الشيخ محمد ابن عبد الله، وسيدي قاسم الخصاصي، وسيدي مبارك الكواش وغيرهم.

عبارته من الخطبة وغيرها مأخوذ باللفظ في تأليف جواهر المعاني، فهو تأليف الغير في غير الشيخ التجاني رضي الله عنه. فكان من حق مؤلفه أن ينبه على أنه انتحله من تأليف الغير حتى لا يقع الإنتقاد عليه من هذه الحيثية.

ولقد أكثر المنتقدون الكلام في هذا الشأن الذي شانوا به وجه هذا الكتاب، وما قصرُوا من التهويل في هذا الباب¹، ولقد أثر كلامهم في عقول بعض الإخوان، ممن كانوا متمسكين بحبل الطريقة، فانقطعوا بما داخلهم من الارتياب، من غير تثبت منهم في الأمر الذي أبداه لهم المنتقدون على ما كانوا يعتقدوه.

ومن لم يكن في نهجه متنبها على قدم الإخلاص في الحب يسقط

¹ - يذكر أن أحد العلماء المغاربة الذي زامنوا هذه الفتنة (لا داعي لذكر اسمه) وكان من المنكرين على الطريقة التجانية، حاول تدبير مؤامرة في الخفاء ضد الطريقة المذكورة، فاتفق مع فقيه آخر مُنكرٍ مثله على أن يذهباً معاً لمصر، بغية طباعة كتاب المقصد الأحمد وعلى هامشه كتاب جواهر المعاني لسيدي الحاج علي حرازم، وذلك بهدف إثارة النواعر، وبت الترہات والأكاذيب، وإدخال البلبلة بين مريدي الطريقة المذكورة. فذهباً فعلاً إلى مصر، وعرضا الكتابين على كثير من مطابعها، غير أنهما أصيبا بخيبة أمل كبيرة وذلك بعدما رفضت جل المطابع أن تلبى طلبهما بطباعة الكتابين المذكورين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حصل بين الرجلين تشاجر ونزاع مرير، أفضى إلى قذف وسب وشتم وتكفير بعضهما بعضاً.

فرجعا للمغرب خائبين في غاية الإحباط والندالة، ثم أَلَفَ كل منهما كتاباً ضد الآخر، ينكر عليه ويقدحه ويظهر عوراته، ويصفه بأبشع الصفات، وقد ذهب الله بنور هذين الفقيهين، اللذان أرادا بكتاب جواهر المعاني سوءاً، فساء حالهما، وأصابتهما لعنة الكتاب المذكور، فبأء بالخسران المبين، وقد توفيا كلاهما خارج وطنه (المغرب) وهم في أبشع ما يكون من صور الذل والإنحطاط والخيانة.

وحيث كان هذا الانتقاد يحتاج في تحقيقه وتوهينه إلى بسط كلام
بلسان مبين عن هذين الأمرين تعين علينا أن نحصر المادة هنا في بساطين
على سبيل الإختصار فنقول:

البساط الأول في تحقيق الإنتقاد بانتحال جواهر المعاني من كتاب

المقصد الأحمد

كنت أولاً أشك في انتحال الكتاب المذكور، طبق ما كنت أنزه به
ساحة مؤلفه الذي استعان على تأليف هذا الكتاب من استعان به عليه، غير
أني كثيراً ما كنت أتعجب من حسن تأليفه، وعجيب تراكيبه، وبديع ترتيبه،
مع تحقق أمية مؤلفه التي كانت تظهر في بعض الجمل التركيبية، فكنت
أقضي العجب من ذلك، ولم أستبعد كون ذلك العبارة أهون شيء على
المفتوح عليهم، وإن كانوا من الأمية بمكان، حتى تحقق عندي انتحال جل
ما لا ميسر له بالطريقة الأحمدية التجانية من فضائل وأذكار وأسرار
وأجوبة الشيخ رضي الله عنه. فكانت الخطبة وبعض فصول الكتاب مما
ينطبق على أحوال الشيخ رضي الله عنه ويوافق سيرته.

وقد ساق ذلك مرتبا تأليف جواهر المعاني على حسب ما ظهر له مما استهون نقله من غير عزو من مؤلفه الأول لمن نقله فيه ثانيا، حسبما سيتضح في البساط الثاني. ولقد عثرت على ثلاث نسخ من المقصد الأحمد، وبين كل واحدة منها تخالف بيسير، النسخة الأولى من المقصد الأحمد أطلعني عليها العلامة السيد محمد الفاطمي بن محمد الشرادي¹ في حدود سنة 1317هـ، حين أطلعه عليها الفقيه السيد محمد ابن الحبيب الفيلاي الأمغاري الدرقاوي². وهي أول نسخة رأيت من هذا الكتاب،

¹ - محمد الفاطمي الشرادي، فقيه قاض، من مواليد مدينة فاس عام 1285 هـ، توفي يوم الأربعاء 19 صفر الخير عام 1344 هـ ودفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :
أفي كل يوم تعتريك نوائب وأنت بها عما نوت بك غائب

إلى أن قال:

و كم من مصائب تحملت رزءها	و إن المصاب اليوم فيه مصائب
نعى البرق لي الفاطمي و ليتني	نعيت إليه و هو لي كان نادب
لقد كدت أن يغمى علي بنعيه	فيا برق خبرني فهل أنت كاذب

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 32. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للمؤلف نفسه 122. النتائج اليومية في السوانح الفكرية، للمؤلف نفسه . رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 35. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 188_189. إتحاف المطالع، لابن سودة . سل النصال، للمؤلف نفسه . معلمة المغرب 16: 5324. موسوعة أعلام المغرب 8: 2947. زهر الأس في بيوتات أهل فاس 1: 540.

² - محمد بن الحبيب الفيلاي الأمغاري فقيه مدرس من حفدة الشيخ علي بن حساين دفين قصر أولاد يوسف بتاڤيلالت أحد حفدة الولي الصالح سيدي عبد الله بن احساين صاحب زاوية تامصلوحت.

درس العلم بجامع القرويين بفاس ثم استوطن مدينة مكناس وأخذ التصوف عن جماعة من أعلام عصره كمحمد بن عبد الواحد لحو والشيوخ ماء العينين الشنقيطي وتلميذه أحمد الشمس وغيرهم.

توفي بعد عام 1372 هـ 1953م. أنظر ترجمته في معلمة المغرب 3: 771. سل النصال لابن سودة (مخطوط). إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي السلمي 174.

فقابلتها مع جواهر المعاني التي بيدي فوجدتها موافقة لها في جل الخطبة وبعض الفصول. ولكن لم أكن ملتفتا لأهمية ذلك، حيث أنه لم يقع كبير اهتمام بذلك لعدم قيام المنتقدين بها في ذلك الحين، مثل قيامهم في هذه الأيام الأخيرة.

وقد كان أخبرني محل الأخ البركة سيدي محمد بن العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي¹ بأن هذه النسخة من المقصد كانت حلت بيد المقدم البركة الخطيب الأسعد الأصعد سيدي علال الفاسي²، وقابلها مع جماعة من أعلام هذه الطريقة بكتاب جواهر المعاني، فوجدوا الموافقة

¹ - الفقيه سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي، ولد بقرية بعين ماضي عام 1265 هـ وترى في دار الشيخ رضي الله عنه بالقرية المذكورة، وهو رضيع حفيده مولانا البشير بن سيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما، حفظ رحمه الله القرآن الكريم بعين ماضي على الفقيه سيدي الحاج الحشاني الزيدي النعمي، والفقيه الحاج مبارك الفيلاي، وأتم حفظه وتجويده على الفقيه الشيخ ابن عاشور الجزائري. ولما استوطن مع والده بفاس تعاطى بها لطلب العلم، فقرأ عن عدة شيوخ منهم القاضي مولاي محمد العلوي، والعلامة ابن عبد الواحد بن سودة، والقاضي سيدي الهادي الصقلي وغيرهم، وأخذ رحمه الله الطريقة التجانية عن والده المقدم الشهير سيدي أحمد العبدلاوي سنة 1288 هـ، ثم كتب له الإجازة فيها عام 1305 هـ، وكانت وفاته بمدينة صفرو في ليلة الأربعاء 3 شعبان الأبرك عام 1349 هـ، ونقل جثمانه الكريم لمدينة فاس حيث دفن بجانب قبر والده بروضة سيدي الطيب السفيناني بباب عجيسة. أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 131.

² - الفقيه العلامة الخطيب، المقدم الأجل، أبو الحسن سيدي علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، من نسل العارف بالله الولي الشهير سيدي عبد القادر الفاسي، كانت له رحمه الله حملات على الأجانب الأروبيين، وذلك من خلال خطبه المنبرية الشهيرة، ومنها خطبته التي ألقاها بمحضر السلطان مولانا الحسن الأول تحت عنوان: إيقاظ السكارى، المحتمين بالنصارى، أو، الويل والثبور لمن احتتمى بالبصبور، Passeport، وكانت وفاته رحمه الله عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314 هـ، ودفن خارج باب الفتوح بقبة مجاورة لقبه أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 219، وانظرها كذلك في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 67. وفي نخبة الإتحاف، لنفس المؤلف، رقم الترجمة 154. وفي الأعلام، للزركلي ج 4 ص 246.

حاصلة فيما لا ميس له بالطريقة وأركانها، ولا فيما يرجع لكلام الشيخ رضي الله عنه وأجوبته وأموره الخاصة به، وإنما الخطب سهل في نقل الخطبة وما هو موافق لأحوال الشيخ رضي الله عنه، وما يناسب مقامه العالي من كل ما يليق به. بحيث لم ينسب إليه إلا ما كان متصفاً به ومتحلياً به من جميل الأوصاف مما لا أهمية تحته عند الإنكار به عند المنصفين.

وقد راجعت هذه القضية بين من ذكر في أواخر القرن الماضي بنحو الثلاثين سنة، فانقطع بذلك عمن كان يبحث عن حقيقة الأمر في ذلك ما كان حصل من التشويش بين الإخوان. وقد كان بلغ الأمر للولي الصالح سيدي العربي بن السائح¹ رحمه الله ولم يبلغنا عنه شيء في نقض عرى هذا الانتقاد، وكأنه لم يعثر على المقصد الأحمد المذكور. فلم يلتفت إلى

¹ - سيدي محمد العربي بن السائح، من مشاهير أعلام الطريقة التجانية، ولد بمدينة مكناس عام 1229 هـ، وتوفي بالرباط ليلة الأحد، في الساعة العاشرة منها، منسلخ رجب عام 1309 هـ، ودفن برياضه بمحل قراءته للحديث الشريف. أنظر ترجمته في الإغتياب بتراجم أعلام الرباط، لمحمد بوجندار 417-426. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان 5: 429-438. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 73-76. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8: 2788. الأعلام للزركلي 6: 265. ختم صحيح البخاري، لأحمد بن موسى السلاوي (مخطوط خاص) رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 308. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 40-124. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لابن محم العلوي رقم الترجمة 27. كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب 313-328. حديقة المنى والأمانى، في ترجمة سيدي العربي العلمي اللحياني. رسائل معلمة معالم سوس الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 25. صبح الولاية اللائح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح، للعلامة سيدي محمود ابن المظمطية (مخطوط خاص) معجم المطبوعات، لإليان سركيس 1319، معجم المؤلفين 6: 278، فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لمحمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، لنفس المؤلف، رقم الترجمة 136، معلمة المغرب 14: 4832-4833. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (الرباط وسلا) لعبد الله الجراري 2: 368-371، نبذة مختصرة في التعريف بأبي المواهب والمرايح مولانا العربي ابن السائح، للأستاذ محمد الأمزالي (مطبوع) كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي (مخطوط خاص) كناش الفقيه أحمد بن قاسم جسوس (مخطوط خاص) الزهر الفائح في ترجمة أبي المواهب سيدي العربي بن السائح، لمحمد بن أحمد التريكي (مخطوط خاص) لوامع أنوار، وفيوض أسرار، وشموس وأقمار، للعلامة سيدي محمد الحجوجي 56. نسيمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، لنفس المؤلف 36 كناش العلامة عبد الهادي أطوبي (مخطوط خاص) كناش العلامة القاضي أحمد بن محمد بناني الرباطي (مخطوط خاص) الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين، للعلامة سكيرج (مخطوط خاص) الخواتم الذهبية على الأجوبة القشاشية، للعلامة سيدي الحاج الحسن الإفراني.

الانتقاد من أصله، اعتماداً على ما بلغه عن المقدم المذكور وجماعته الذين حققوا المناط في كون ذلك لا يضر¹.

غير إنني سمعت سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه يقول: إن الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رحمه الله كان يشدد النكير على من طبع جواهر المعاني. وكنت أفهم أن موجب ذلك التشديد أمور منها أن الطبع يقضي بانتشار نسخ الجواهر بيد المعتقد والمنتقد والمحب والبغيض، والناس في ذلك الحين سمعوا عنها ما سمعوا من الانتحال، فيكثر بانتشارها القيل والقال، وبمراجعتها مع المقصد الذي كان الناس الذين أشاعوا أمره في ذلك الوقت، فلربما يجر ذلك إلى فتنة بين الإخوان وبين غيرهم إلى ما لا تحمد عقباه.

ومنها كون جواهر المعاني كتاب خاص بطريقة خاصة، ينبغي أن لا يكون إلا عند أهله ومن ضاهاهم، ممن لا يحصل عليه إلا ببذل مال له بال في شرائه أو نسخه، فلا يكون مبتذلاً عند كل أحد بخلاف حالة طبعه، فإنه يسهل تناوله لكل أحد ممن يستحقه ومن لا يستحقه من المعتقدين

¹ - كان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح على اطلاع وثيق بالمسألة المذكورة، غير أنه لم يعطيها حجماً أكبر من الحجم الذي تستحقه، وقد وُضِعَ عليه سؤال في هذا الصدد من طرف بعض علماء فاس، فأجابه بكلمة جامعة فاصلة، مفادها: المراد بالبرتقال لبُّه لا قشوره. بمعنى أن المدار في كتاب الجواهر على أجوبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وإملاءاته ودعواته ورسائله ونصائحه وفتاويه وأوراده وآدابه وتوجهاته، وليس على خطبته ومقدمته وعناوين فقراته، أو ما جاء فيه من شواهد أدبية وأشعار جميلة. والمعروف عن الولي الصالح المذكور أنه كان يحفظ كتاب الجواهر حفظاً جيداً تاماً، بحيث أنه كان على اطلاع بشتى تفاصيل هذا الكتاب، يستظهره، ويعرف سائر محتوياته، ولو من عداد حروف الجر والإضافة وأسماء الإشارة وما إليها، كما كان يعرف كتاب المقصد الأحمد في التعريف بابن عبد الله أحمد، وقد أشار إليه في بعض تقايبه.

والمنتقدين، وقد كان شأن المنكرين في خمود بعد اشتعال، فبنشر هذا الكتاب بالطبع في ذلك الحين فيه نوع من تحرك إيقاد ما نام من الفتن، والغالب على الظن أن الموجب القوي هو الأول الذي أتخليه الآن من حالة إخبار سيدي ومولاي أحمد المذكور لي بما ذكر، وهو يوجب خوض الناس في إحياء ما مات من انتقاداتهم بهذا الانتحال الذي لا يعرف حقيقته إلا من كان ذا قدم في الطريق ولا يتضرر بأهل الإعتراض وأهل التصديق.

النسخة الثانية من المقصد الأحمد قد عثرت عليها بمكتبة الشريف سيدي عمر بن شيخنا بركة الوقت أبي العباس سيدي أحمد بن الخياط الحسني الدرقاوي¹ طريقة، وهي ثاني نسخة عثرت عليها بعد ذلك بزمن يسير، حيث أنه تحرك بباطني هاجس لم يمكنني معه التصديق بكون النسخة الأولى صحيحة، وإنما خيل لي بأن بعض المبغضين أخذ جواهر المعاني وأفرغها في قالب المقصد المذكور، على عادة المنتحلين الذين يقصدون الإنتقاد بذلك على من أحبوه، كما وقع في قضايا كثيرة من هذا الباب.

¹ - عمر بن العلامة أحمد بن الخياط الزكاري، فقيه، له اهتمام بشؤون الطباعة والنشر، وعلى ذمته طُبعت مجموعة من الكتب الفقهية وغيرها، وذلك بالمطبعة الحجرية بفاس، نذكر منها كتاب الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، وكان شديد العداوة لطريقتنا التجانية، ولا يفوتنا التنبية على أنه كان زعيم الفتنة التي أقامها بعض علماء القرويين ضد كتاب العارف بربه العلامة سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي عام 1343 هـ - 1925م، وكان العلامة سكيرج يُداريه في وجّه والده العلامة سيدي أحمد بن الخياط، الذي هو من جملة شيوخه في العلم، وكثيرا ما كان ينبهه من مغبة الوقوع في أعراض أولياء الله تعالى، ويقول له: دَعِ النَّاسَ لَخَالِقِهِمْ. إهـ.. لكن: إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء.

وهذا وإن كان بعيدا وقوعه هنا و لكن كان داخلي من ذلك الهاجس ما كدت أن أجزم به، فصرت أبحث على نسخة ثانية من المقصد تكون قديمة في الجملة، حتى عثرت عليها عند هذا السيد، وهو ممن له رغبة في إشهار أمرها، تتكيتا على مؤلفها، وطعنا في أساس هذه الطريقة عفا الله عنا وعنه، فأطلعني عليها في محله، ولم يتركها بيدي، خشية أن أضيعها طبق ما ظهر له من حرصي عليها، وكان قصدي هو التحقق التام بمطالعتها، ومقابلتها مقابلة تحقيق، فلم يمكن لي ذلك من هذه النسخة، ولكن زال عني ذلك الهاجس حين اطمأن الصدر بوقوفي على هذه النسخة، و هي أقدم من النسخة الأولى حسبما ظهر لي ذلك من الخط وتلاشي الكاغد في الجملة، فتحققت بكون المقصد الأحمد لا محالة أنه موجود على الوصف المذكور، وإن كنت لم أكتف من قبل على ما وقفت عليه في بعض المتأخرين من النقل عنه، ولا بالنسخة المشار لها.

النسخة الثالثة وهي أول نسخة نسخت من مبيضة مؤلفه بتاريخ 10 ربيع النبوي عام 1194 هـ بهامشها بعض الطرر بخط يد العلامة سيدي العربي القادري¹ أخي مؤلفها رحم الله الجميع. وقد اشتريت هذه النسخة

¹ - العربي بن الطيب بن محمد القادري، فقيه مؤرخ نسابة، من أعلام مدينة فاس، تصوف على يد الشيخ أحمد بن عبد الله معن، وكان ملازما له طيلة مدة تتييف على عشرين سنة، من مؤلفاته: الطرفة في اختصار التحفة (أي التحفة الصديقية في الطائفة الجزولية والزروقية) للمهدي الفاسي.

توفي سنة 1106 هـ بعد مرض عضال لم ينفع معه علاج، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، جوار ضريح الولي الصالح سيدي أحمد اليميني، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 389 رقم 801. معلمة المغرب 19: 6573. الأعلام، للزركلي 4: 224. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 194-195. موسوعة أعلام المغرب 5: 1831-1835.

بوزنها فضة لاغتباطي بها، فتم لي المراد بمطالعتها ومراجعتها مع ما اشتمل عليه جواهر المعاني، حتى أحطت علما بما في ضمن الكتابين من موافقة ومخالفة، وتحققت بأن ما انبنى عليه الكتاب لا يضر، لكون ما نقل منه إنما هو الخطبة ونحوها، مما لا بأس بنقله من غير انتساب، والخطب فيه سهل عند أولي الألباب. كما سيتضح ذلك بحول الله في هذا الكتاب، وقد اعتمدت على هذه النسخة في إصلاح النسخة من جواهر المعاني التي أنا بصدد شرحها، منبها على ذلك عندما يعرض الكلام على ما ينبغي التنبيه عليه والتنبيه له إتماما للفائدة.

البساط الثاني في توهين هذا الإنتقاد الذي أراد به مورده التشويش

على أهل الإعتقاد

قد قابلت بنفسي هذه النسخة القديمة بنسخة جواهر المعاني مقابلة من يريد الوقوف على عين الحقيقة، فوجدتها موافقة في الخطبة وترتيب جل الأبواب، مع تغير يسير، غير أن ما يتعلق بالطريقة وبأجوبة الشيخ رضي الله عنه فإنه على حدته، كما انفرد المقصد المذكور بما يتعلق بحال الشيخ المؤلف فيه رضي الله عنه وبأجوبته وتراجم شيوخه على حدة أيضا غير ما حصلت فيه الموافقة في حال الشيخين معا فيما كانا متخلفين به، وما كان يقولانه في غالب الأحيان فهو مذكور باللفظ مع اختصار أو زيادة مناسبة للمقام، ولقد قدرت الزيادة المأخوذة من هذا المقصد بنحو ثلث جواهر المعاني، وهذا الثلث لا ميسر له بالطريقة، وقد نبهت على هذا

كله وقوفا مع الإخبار بالواقع¹، حتى كأن المطالع لهذه السطور قابل بنفسه هذين النسختين، فلم يبق له شك في مشاهدة ذلك، وبتحقق هذا يكون المتحقق لهذا الأمر صاحب حال من أربعة أحوال.

الحال الأول من الأحوال التي تنزل بالمتحقق من أهل الطريقة

التجانية يكون جواهر المعاني قد اشتملت على نحو الثلث من المقصد

الأحمد

يدخل المتقلد بقلادة عهد الطريقة التجانية عندما يتحقق بهذا إن كان من ذوي الصدق في الجنب الأحمدي حال يقضي عليه باعتقاد أن هذا الأمر لا يضر الطريقة، ولا يحط من قدر هذا الكتاب المؤلف فيها، لأن المقصود منه ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه من أحوال، وجمع بعض ما فاض منه من علوم وأسرار مما هو منوط بالطريقة، وذكر بعض كلامه ورسائله وأجوبته، كيف ما تأتي لمؤلفه جمع ذلك، وقد اختار أن يرتبه ترتيب ذلك المقصد، حيث راق بين عينيه جمعه، وحسن لديه وضعه.

¹ - لا تتعدى أوجه التشابه بين الكتابين نص الخطبة، وهي الأربع صفحات الأولى من الكتاب، بالإضافة لاتفاق الكتابين في النسق والترتيب وعناوين الفقرات، أما من ناحية المضمون فهناك بون شاسع بين هذا وذاك، فقد انصرف صاحب كتاب جواهر المعاني في جزءه الأول للحديث عن ترجمة شيخه أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، مع تراجع بعض شيوخه، لكن في قالب مغاير للنظام المتبع في كتاب المقصد الأحمد، وليس في هذا الحيز أي وجه للتقارب بين الكتابين، لا في المنهجية ولا في المضمون. مع العلم أن صاحب كتاب جواهر المعاني ساق في جزءه الأول أيضاً كثيراً من أجوبة الشيخ ومقالاته وأذكاره ودعوته، مع مجموعة من تفسيراته لبعض الآيات القرآنية، كما تطرق في الجزء الثاني لرسائل الشيخ رضي الله عنه وشرحه لبعض الأحاديث النبوية ونصائحه وفتاويه، وهو شيء لا وجود له تماماً في كتاب آخر، لا في المقصد الأحمد ولا في غيره، وهذا الشيء هو مرادنا من كتاب جواهر المعاني، وهو أيضاً الذي تدور عليه شؤون طريقتنا وأصولها، وليس على الخطبة أو ما كان في معناها من بعض الأشعار والأبيات البديعة.

فأفرع إبريزة في قلبه، ونظم جواهره في سلوكه، على حسب الحال التي داخلته من شدة محبته في هذا الشيخ الذي قضت عليه محبته أن يرى كل جميل وكل ما حسن ولو كان لغيره فهو لا يراه إلا منه وفيه، ولا يليق إلا به، فهو مغلوب بحال المحبة أن يقول هذا لا يناسب إلا شيخي، فيصيح على أفنان مدحه بما مدح به الغير، ولا يبالي بما وراء ذلك من إقبال أو إعراض أو تسليم أو اعتراض، طبق ما يحصل في ذلك من أغراض، لأنه قد وافق هواه، وهو ما تمناه.

الحال الثاني من هذه الأحوال التي تعترى المتحقق من أجل هذه الطريقة بهذا الأمر أيضا

يحصل للمطلع على ذلك حال قد تفضي به إلى إنكار هذا من أصله، ويستحيل وقوعه، ولكن هذا الحال لا إنصاف معه، فلا كلام مع صاحبه، لعدم ضبطه لما يصدر منه في هذا الموضوع، فاجتتاب الخوض معه فيه أولى من الكلام معه فيه، لا فيما يرجع للمناضلة عن حمى الطريقة، ولا فيما يرجع لغيرها، فهو في حاله كالمجنوب الذي يتعين الفرار منه.

وقد شاهدنا هذا الحال في بعض خاصة الأحوال، غيرة منهم على هذا الجانب الذي كادوا أن يعتقدوا فيه أنه لا يصدر منه خلاف ما يعتقدون، وهذا منهم غلط فادح، إما لجهلهم أو لتجاهلهم، ولكن انقيادهم لغلبة الحال المتجلي عليهم قد يقضي بعدم المؤاخظة عليهم، لأن صاحب الحال مسلم له في حاله عند نوي الإنصاف، ولا ينبغي له أن ينكر على العالم بحقيقة الأمر إن أنصف في ميدان المناضلة عن جانب الطريقة بما

يقضي عليه من الإنتصار للحق والذب عن الحق بلسان الصدق، سيان كان المتكلم في هذا الموضوع تجاني الطريق، أو غير متمسك بحبل الطريق من كل فريق.

الحال الثالث من هذه الأحوال التي تطرأ على بعض المريدين عند لحوقهم بهذا الأمر

يحصل لبعضهم حال ينزعج بها فلا يضبط ما يصدر منه حال الغلبة عليه حتى ينسى الطريقة وما انبت عليه، فينقطع حبله من حبلها، ويصبح في عين القطيعة، ولا تسأل عما يقع هناك من سوء الحال، وكثرة القيل والقال، ويستولي عليه ما يعتري أهل الجدل، وينتصر عليه المنتقدون عليه بذلك، فيزينون لهم الواقعة في مؤلف الجواهر المذكور، فيطلق لسانه بالسب وما جرى مجراه، وذلك مراد الشيطان من المنقطع عن الطريقة، فيمسح بيديه على وجهه ويقول: قد ظفرت منك بالمراد، فهذا وجه لا يفلح أبداً.

وقد وقع في هذه المصيبة جماعة ممن كانوا منتسبين لهذه الطريقة، فنحن نراهم اليوم قد رفضوها ودخلوا في حزب المنتقدين، وهم في غمرة البغض منقلبون على أديبارهم، ولا يشعرون بالمكر الذي احتف بهم بسبب انقطاعهم وإنكارهم، والله الأمر من قبل ومن بعد¹.

وقد تقرر في طريقتنا أنها غير متوقفة على اعتقاد ما هو مدون في كتبها من كل ما يرجع للفضائل والكرامات، ونحو ذلك مما لم تتبني هذه الطريقة عليه، وإنما الطريقة عندنا التزام الأذكار اللازمة بأركانها المبينة عليها من امتثال الأوامر واجتتاب النواهي، على حسب الطاقة، ولو استحضر المسكين الذي اشمازت نفسه من جواهر المعاني بسبب ما تراءى له فيها هذا ما أفضى به الحال إلى هذا الانقطاع، ولنسب لنفسه الجهل الذي هو أقبح الطباع، ولم ينهج منهج المنتقدين بما لم يحط به خبرا، ولا اطلع على ما انطوى تحت هذا الأمر من الآيات الكبرى، التي

¹ - انسلخ عن الطريقة التجانية إبان نشوب هذه الفتنة جماعة من الأشخاص، لعل من أبرزهم الفقيه محمد الفاطمي الشراذي، ومحمد بن عبد القادر الهلالي، ومحمد بن العربي العلوي، وغيرهم من المغرورين أو المغرر بهم، والحق أن هؤلاء لم يكونوا معتقدين في هذه الطريقة، أو متمسكين بها على الحقيقة، وإنما كانوا فيها على طرف، إن أصاب أحدهم خيرٌ اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وقد جهر بعض هؤلاء المذكورين بشديد العداوة للطريقة التجانية، وسَطًا البُغْضُ إلى قلوبهم، وانطبع في أفئدتهم، فأفاضوا في إلقاء الشبهات والتشكيكات التي تزيغ العوام وضعفة العقول والأفهام عن معتقدتهم الصحيح، وتقودهم إلى الإنكار والتعطيل والإعوجاج عن سواء السبيل. ومما يذكر عن العلامة الولي الصالح سيدي العربي المحب العلوي أنه كان شديد الكراهية للفقيه محمد الفاطمي الشراذي، منذ ولوج هذا الأخير للطريقة التجانية عام 1313 هـ، فكان لا يودُّ مجالسته ولا مصافحته، ويعرض عنه، ولا يقيم له أي وزن، وكان بعض ساداتنا الفقراء يتعجبون من ذلك، ويسألون عن موجب ذلك الإعراض، وكان كلما التقت عينه بعين الشخص المذكور يقول:

الله يعلم أني لم أقل فندا
على كثير ولكن لا أرى أحدا

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم
إني لأفتح عيني حين أفتحها

تحقق بها أهل المعرفة وخاصة أهل هذه الطريقة، وذلك أن الحق تعالى جعل من الصوارف التي تصرف الناس عن الطرق التي ليس هم من أهلها بعد أن انحاشوا إليها تزيين الشين في العين، وتقبيح الزين بما يتراكم على القلب من الغين، فيحصل الإقبال أو الإدبار، والإتصال والانقطاع وفق ما قضاه وأبرمه في حق كل فرد فرد من المخلوقين، وكل يعمل على شاكلته، بما يسر له من الأمر الذي لا محيد له عنه.

وقد ظهرت فتنة الخوض في هذا الكتاب بما أفضى بقوم إلى الانقطاع، وبقوم إلى التمسك القوي الذي ما ازداد بهم إلا تمكنا في الطريق، بعد وقوفهم على عين التحقيق، فكان ذلك غير مضر في الجهر والسر، لوضوح الأمر كما لا يخفى على الناقد البصير.

الحال الرابع من هذه الأحوال التي تنزل بمن اطلع على هذا الأمر،

وتحقق به في السر والجهر

قد يعتري المطلع على هذا الكتاب حال تقضي عليه بأن ينكر على الخائض في هذا ويقول: إن الخوض في مثل هذا ولو على سبيل الرد فيه ترويح ما يأخذ بالنفوس الضعيفة من الإخوان، ممن ينقطعون بسبب ذلك عن الطريقة، أو بالأقل إساءة الظن بالمتكلم في هذا الأمر سواء كان محققا أو مبطلا، وينشد لسان الحال منه في النكير:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا فما اعتذارك من قول إذا قيل¹

فالأولى ترك الخوض مع الخائضين في ذلك وعدم التعرض له في كتب الطريقة، وهذا الحال من قبيل الحال الثاني، فلا إنصاف مع صاحبه، وبيان ذلك أن الوقت قاض بالنظر إلى أهله بعين اعتبار واستبصار، فتتظر بعين الإعتبار الأولى إلى أحوالهم فيسلك على مسلك السلامة بتتقية الشوك والأذى عن المحبة وتنبههم عليه، حتى يروه فلا يطؤوه عليه، ويوسعون خطاهم حتى يتخطون للصواب، ويدخلون إليه من كل باب، فيقدرون قدر من أنصف معهم لينصفوه، ويتحققون بأنهم قد اعتبرهم فيعتبروه، وينظر بعين الاستبصار الثانية إلى أحوالهم من كون الشخص لا ينقاد إلا للمحبة في كل محبة، فلربما ألقى ذلك على ضعفاء الإخوان. وهو الواقع الآن، فلا يجد أفقهم ما يرفع به عن الجناح جوابا ينظر إليه بعين الصواب، فأحرى أن يجاب عنه غيره ممن لا يعرف الإيراد، فضلا عن الجواب في الحال أو في الاستقبال، فترويح الكلام في هذه المسألة أولى من السكوت عنها عند من تحقق الأمر، وعرف أن القوم لا يذعنون إلا بقاطع البراهين التي لا يبقى معها احتمال، سيما والطريقة زائدة في الانتشار، موعود من باب الفضل المضمون لصاحبها بالانتصار.

¹ - البيت للنعمان بن المنذر، من أبيات ثلاثة رد بها على الشاعر لبيد بن ربيعة، بعدما أرسل له هذا الأخير أبياتا منها قوله:

ما مثلها سعة عرضا ولا طولا

لئن رحلت جمالي إن لي سعة

فكتب إليه النعمان بقوله:

تكثر علي ودع عنك الأباطيلا

شرد برحلك عني حيث شئت ولا

فما اعتذارك من قول إذا قيل

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا

وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة

ومن هذه الحيثية يعلم المطالع لهذه الأحرف أننا لم نخض في هذا الأمر إلا عن إذن خاص، فنحن نتكلم هنا عن حال ووجدان، لا عن تخمين وتهويس مقال، ولزيادة إقناع المنتقد وإقناعه في بساط توهين انتقاده نأتي هنا بالإستدلالات على أنه لا بأس بما فعله مؤلف الجواهر من أخذه من المقصد الأحمد ما يناسب غرضه في تأليفه جواهر المعاني، وهو واضح للعيان.

الاستدلال الأول على أنه لا بأس بأن يأخذ مرتب جواهر المعاني

من المقصد الأحمد ما يناسب الغرض المطلوب من هذا المطلب

قد جرت العادة بين الناس من قديم أن يأخذ البعض عن البعض في مؤلفاتهم بالمعنى فقط، أو باللفظ والمعنى، أما بالنسبة عن المنقول عنه فكثير، وأما بعدم نسبه فكذلك، حتى أن منهم من أخذ الكتاب كله وسلخه عن مؤلفه الأول ونسبه لغيره، ولهم في ذلك أغراض لا غرض لنا في البحث عنها، ولكن القصد عندنا الآن الإستدلال على أن أخذ الكتب عن مؤلفها الأول ونقلها إلى مؤلف قد شاع منذ عهد قديم.

وقد نحى هذا المنحى جماعة ممن يعتد بهم ويعتمد عليهم في باب الاقتداء بهم في هذا العمل الذي سوغ للمتأخر التآسي بمن مضى منهم، ولو ذكرنا هنا ما عثرنا عليه من المأخوذ عنهم مع ما نسب لغير مؤلفه الأول لاحتجنا إلى البسط الممل، وسنفرد فصلا لهذا الموضوع باختصار، ليعلم أن ما سلكه في الجواهر خطبة غير جمل، وليس في ذلك من خلل، والله المسدد في القول والعمل.

الاستدلال الثاني على أنه لا بأس بما سلكه في كتاب جواهر

المعاني من هذا المقصد لكونه بإذن خاص

نحن لا نقول بأن أخذ التأليف من مؤلفيها ونسبتها لغيرهم من الأمر المستحسن، وإنما نستهنون الإستعانة بها في ترتيب أو تبويب، خصوصاً إذا كان ذلك بإذن خاص كما وقع لمؤلف جواهر المعاني، فقد كان بلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أنه أمر أولاً بحرقها وتمزيق ما ألفه منها مؤلفها، وبعد مدة أمر بجمع ما بقى منها طبق ما حكاه مؤلفها في أولها¹، وخفي سبب ذلك عن جل الأحباب، أما نحن فقد اطلعنا على سر ذلك في هذه الأيام الأخيرة، حيث ظهر أن ترتيبها كان على تأليف المقصد الأحمد، فلم يمكن لسيدنا رضي الله عنه أن يقر مؤلفها على ذلك الترتيب، وأمر بحرقها وتمزيقها، حتى حصل الإذن الخاص من الحضرة المحمدية في المشاهدة الخاصة، حيث قال للشيخ رضي الله عنه: "هو كتابي وأنا ألفتها"².

فلا جرم أن ترتيبها الأولى وإن كان من عنديات مؤلفها، و لكن نيته الصالحة اقتضت أن يتقبل منه عمله و أن ينظر إليه من هذه الحضرة الخصوصية، فكان مقبولاً بذلك الترتيب، و هذا الاستدلال و إن كان لا يقبله إلا أهل التسليم، ولكن فيه جواب إقناعي لكل ذي صدر سليم، و بما ذكرنا اتضح لك سر إجازة سيدنا رضي الله عنه في هذا الكتاب لمؤلفه، وكتبها على أول ورقة منه في الجزء الأول وآخر ورقة من الجزء الثاني

¹ - أنظر جواهر المعاني لسيدني الحاج علي حرازم 1

² - أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدني الطيب السفيناني (باب حرف الألف)

وفق ما أشرنا إليه، ونقلنا لفظه في هذا الكتاب من خطه الشريف،
وسنذكره بحول الله.

ذكر ما عثرت عليه مكتوبا على نسخة جواهر المعاني المكتوبة

بخط مؤلفها من الوثائق

قد وقفت على نسخة جواهر المعاني التي هي إحدى النسخ المكتوبة
بخط مؤلفها، بعد أن وقفت على نسختين بخط يده، ولكن المدار على هذه
المكتوب عليها خط سيدنا رضي الله عنه، وهي التي صاحبها معه حفيد
الشيخ رضي الله عنه سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا محمد البشير بن
سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن الشيخ القطب الختم التجاني قدس سره حين
قدم بها لفاس، وقد طالما تمنيت العثور عليها منذ كان أخبرني بها العارف
بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، وقد أمرني مرة
بالكتب إلى ولده البركة المقدم، محل الأخ سيدي محمد، حين كان في
بعض سفراته بعين ماضي، بأن يستعمل ما وسعه من الإتيان بهذه النسخة
من عين ماضي لتوضع بخزانة الشيخ رضي الله عنه التي بفاس، ولو بأن
يأخذها من هناك على وجه الإختلاس.

وقد كنت تعجبت من هذا الأمر الذي كان عزم علي فيه، ولم أجد
وجها أخرجها في إياحة ذلك، ولم أقدر على مخالفته، فساعدته ظاهرا في
الكتابة، ولم أتيقن الآن بأني وجهت له ذلك المكتوب، وحملت ذلك على
حال حصل له في ذلك الوقت، إلى أن وقفت على النسخة المذكورة،
فوجدت عليها وثيقة بتحبيسها من مشتريها على الزاوية المذكورة، فعرفت

السر الذي حمل العارف المذكور على ذلك، ولنذكر هنا ذلك مع ما وقع لها من التقلبات في حال سفر مواليتها بها، إلى أن رجعت لورثته، وحبست على الزاوية المذكورة من مشتريها، وجميع ما ذكر مرسوم في أوراق الجزء الأول والثاني في وثائق.

الوثيقة الأولى اشتملت على حكاية استخلاصها بعد النهب¹

وقفت على هذه الوثيقة بخط عدل لم أفك رمز علامته، ونصها: الحمد لله بعد ما نهب التأليف الذي في حشو هذا المجلد، مع سفر آخر مثله ومصحفا في سفر واحد رباعي قبل تاريخه لأربابه. وهم أولاد سيدي الحاج علي حزام برادة، ووجدته الشريف سيدي عبد الواحد بن الشريف المرحوم سيدي محمد بوغالب الجوطي الحسني² بيد شيخ المغاربة بفاس

¹ - تحتوي حكاية استخلاص كتاب جواهر المعاني بعد نهبه على دروس وعبر عجيبة، ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا الكتاب كان بحوزة مؤلفه لدى سفره للحجاز، ووفاته بمنطقة بدر عام 1218 هـ، وقد أعيد الكتاب بعد ذلك إلى مدينة فاس، وذلك عن طريق صاحبه وملازمه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، الذي كان مرافقا له ضمن المراحل الأخيرة من سفره المذكور، ووُضِعَ كتاب جواهر المعاني عندئذ في حوزة نجل المؤلف المقدم البركة سيدي بوعدة برادة، ولم يتم نهبه إلا بعد وفاة سيدنا الشيخ رضي الله عنه عام 1230 هـ، وبهذا فمدة نهبه لم تزيد على سنتين لا غير، حيث تمت استعادته حسب الحكاية المذكورة في هذا النص سنة 1232 هـ، وتلك كرامة عظيمة، إن دلت على شيء فإنما تدل على علو مكانة هذا الكتاب وشرفه، وما له من بركات مشهودة.

² - عبد الواحد بوغالب، من مشاهير أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني، أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 269-270. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 69. الدر الثمين فيما استقدته من الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 26 (مخطوط). جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). تطيب النفوس بما كتبت من بعض الدروس والطرّوس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. كناش بلامينو 103. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 354 رقم 103. نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 93.

الحاج محمد المغربي، في صحبة الركب النبوي عام تاريخه، ورام استحقاق ما ذكر من يد من ذكر، وادعى المستحق من يده أنه صير على ذلك ستين ريالاً، وهي أربعة وعشرون متقالاً حين وجد ذلك عند الغير، فدلّه عن الاستحقاق لعدم الشهود، وعن اليمين الواجب عليه، ورفع الأمر لشيخ الركب النبوي عام تاريخه، وهو الحاج الطالب بن جلون¹، فدخل بينهما على أن يدفع له العدة المذكورة التي دفع من يديه لمن ذكر، فدفعها له الشريف المذكور بمحضر شاهده، وحاز الكتب الثلاثة المذكورة، وتبارءاً معاً مما ذكر، قصد الشريف المذكور الرجوع بذلك على أولاد الحاج علي المذكور حين يصل إليهم، عرفاً قدره، شهد به عليهما بأكمله وعرفهما في أوسط شعبان عام 1232هـ.

الوثيقة الثانية اشتملت على بيع السيد بو عزة هذه النسخة

لمحبسها الشريف عبد الواحد بو غالب

قد كتبت هذه الوثيقة بعلامة عدلين وامضائهما، ولم أفك رمز اسمهما، والمقصود منهما ذكرها في هذا المحل باللفظ ونصها: "الحمد لله اشترى الشريف سيدي عبد الواحد بن الشريف المرحوم سيدي محمد بو غالب الجوطي الحسني من البائع له السيد بو عزة بن العارف بالله سيدي

¹ - الطالب ابن جلون الفاسي، أحد كبار تجار مدينة فاس خلال عهد السلطان المولى سليمان وخلفه المولى عبد الرحمان، كان كثيراً ما يترأس ركب الحجيج المغاربة، ويذكر أنه آخر شيوخ الركب المذكور، حيث أدى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة، توفي في حدود سنة 1260 هـ - 1844م. أنظر ترجمته في زهر الآس في بيوتات أهل فاس، للكتاني 1: 298-300. معلمة المغرب 9: 3068.

الحاج علي حرازم برادة جميع هذا التأليف المبارك في سفرين، المشتمل على مناقب شيخنا وسيدنا ووسيلتنا سيدي أبي العباس التجاني "المكتوب هذا على أول ورقة منه، المسمى بجواهر المعاني، وبلوغ الأمانى، من فيض أبي العباس التجاني، اشتراه بثمن قدره له أربعة وثلاثون متقالاً دراهم تاريخه.

اعترف البائع المذكور بقبض جميع الثمن، وأبرأه منه براءة تامة، وتملك المشتري مشتراه المذكور تملكا تاما على السنة في ذلك، والمرجع بالدرك بعد التقلب والرضى كما يجب، عرفا قدره، شهد عليهما بأكمله وعرفهما في أواخر شعبان المبارك عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، واستودع هنا شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ما جاء به حق وصدق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن ما في هذا الكتاب صدق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه".

الوثيقة الثالثة وهي على ظهر خاتمة الجزء الثاني بعدها

بالمحبسين

وقد وقع في آخر المجلد الثاني من هذا الكتاب وثيقة مثل الوثيقة المتقدمة مع اختصار يسير، وبعدها باتصال هذا الرسم: وهو الحمد لله، أشهد المشتري أعلاه أنه إن قدر الله بموته الذي لا بد منه، ولا محيد لكل مخلوق حي عنه، فيخرج من ثلث متخلفه هذا التأليف المبارك المشتمل في سفرين، ويكون حبسا على زاوية الشيخ سيدي أبي العباس التجاني

الحسني، الكائنة بالبليدة حبسا مؤبدا، ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غيره فالله حسيبه وسائله ومتولي الإنتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون¹، إيضاء تاما، عرف قدره، شهد به عليه بأكمله وعرفه وفي التاريخ أعلاه هـ

ولا شك أن هذا يدل على أن تلك النسخة محبسة على الزاوية يتعين ردها لخزانتها وقوفا مع لفظ المحبس، وهذا المعنى هو الحامل للعارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه على ما أشرنا إليه، وكنت أظن أن ذلك حال من أحوال الملامتية داخله في ذلك الوقت، حتى وقفت على ذلك، ولنذكر هنا أيضا ما وقفت عليه من خط الشيخ رضي الله عنه مكتوبا على هذه النسخة أولا وأخيرا بالإجازة منه لمؤلفها.

**إجازة الشيخ التجاني رضي الله عنه الأولى لمؤلف جواهر المعاني
فيها، منقولة هنا من خطه من الجزء الأول من النسخة التي بخط**

المؤلف المذكور

قد عثرت على إجازة الشيخ رضي الله عنه في جواهر المعاني لمؤلفها بخط يده على أول ورقة منها، فلنذكرها في هذا المحل منقولة من خط يده مباشرة ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، قال العبد الفقير، المظهر لرحمة ربه، أحمد بن محمد التجاني أن مجموع الكناش المكتوب على ظهر أوله هذه الأحرف كله من أوله إلى آخره أجزت فيه إجازة عامة مطلقة تامة خالدية أبدية لحبيبتنا

¹ - سورة الشعراء الآية 227

سيدي الحاج علي حرازم بن الحاج العربي الفاسي من أوله إلى آخره" كلمة مني، رواية عني، وعملا بما فيه من كل شيء، وإذنا بما فيه من الخواص والأسرار، أيا كانت ومن أي فن كانت، وأن يجيز فيه من شاء وكيف شاء، على قاعدة الإذن والإجازة المعروفة عند أهلها من مراعاة الأصلح والأهلية والنفور والبعد والمنع عن ليس بأهل. أجاز وكتب أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله، وهو من إملأنا على المجاز المذكور، والله الموفق بفضله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، بتاريخ يوم الخميس آخر يوم من رجب الفرد من أواسط عام 1215 هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الإجازة الثانية للمؤلف المذكور منقولة من خط الشيخ رضي الله

عنه مباشرة من آخر الجزء الثاني من هذه النسخة

ووجدت مكتوبا بخط سيدنا رضي الله عنه في آخر ورقة من هذه النسخة المكتوبة بخط مؤلفها ما نصه: يقول العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، قد كمل تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه، وانفتحت بعون الله عز وجل مساره وتفريجه، برواية عنا وسماع منا.

فلا جرم أن العمل فيه على هذه النسخة المكتوب على آخرها على هذا الرسم، وأن ما سواها من النسخ راجعة إلى هذه، وكل ما فيها مما يخالف هذه النسخة يجب تركه¹، وأجزت في جميع ما فيها راويها عنا سيدي الحاج علي حرازم جامعها. إذ كل ما فيها أمليناه عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إه..

ولا شك أن المقصود من هذه الإجازة مع ما قبلها من الشيخ رضي الله عنه هو ما اشتملت عليه جواهر المعاني مما يرجع للطريقة، مع أجوبته رضي الله عنه ورسائله وشرحه لجوهرة الكمال، مع شرح ياقوتة الحقائق المشتملة عليه هذه النسخة، أما ما زاد على ذلك من ذكر أحواله والتتويه به في هذا الكتاب فلا دخل له في إملاء الشيخ رضي الله عنه عليه لأنه بالضرورة يعلم أن ذلك ليس من الإجازة في شيء، ولا يصدر من الشيخ رضي الله عنه، لأنه لا يمكن أن يكون أتى على نفسه بما ذكره فيه من أحواله وأخلاقه وغير ذلك من ترتيب أبواب هذا الكتاب. كما يتحقق

¹ - وفتت والله الحمد على نسختين اثنتين من كتاب جواهر المعاني، منها النسخة المباركة التي كتب سيدنا الشيخ رضي الله عنه على ظهر غلافها نص إجازته للمؤلف رحمه الله، وتبين لي من خلال مطالعتي الدقيقة لهذه النسخة ما تفرّدت به من بعض الزيادات الحسنة، وحذف بعض الأسطر والفقرات، من ضمنها قصيدة طويلة تقع في صفحات.

وقد وفتت في الوقت نفسه على نسخة من هذا الكتاب كانت تحت ملكية العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، ذكر في مطلع هذه النسخة أنها منقولة بالحرف عن المخطوط الأصلي للمؤلف، المحفوظ بخط مولانا الشيخ رضي الله عنه وإجازته، وقد قابلت النسختين معا فوجدتهما في أتم ما يكون من الموافقة، بحيث لا يختلفان في شيء ولو في حرف واحد.

ووقفت أيضا على نسخة أخرى منقولة عن المخطوط الأصلي للمؤلف، ويزيد من أهميتها أنها كانت في ملكية العلامة المؤرخ لسان الطريقة سيدي محمد أكنسوس، وعليها بعض تصحيحاته في هامش الكتاب، وهي الأخرى مطابقة لنسخة المؤلف مطابقة تامة.

بهذا سائر الأحباب، ولا كلام لنا مع غيرهم ممن يريدون الخوض في هذا الجنب، والتسور عليه بعد الأبواب، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وقد وجدت في هذه النسختين تقريظين لطيفين لبعض أحباب سيدنا رضي الله عنه، الآخذين عنه مشافهة من علماء الجزائر، ننقلهما هنا لمناسبة الموضوع.

التقریظ الأول لجواهر المعاني منقولاً منها بخط ممضيه

"بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن نبه عزائم الهمم الكاملة لاقتناء فرائد الفوائد، لهم خزائن الأفكار أبهى من الأبدكار الخرائد، فأبانوا مراسم الفضائل بعد طموسها، وأقاموا قواعد بنيان المحامد بعد دروسها، وقررت المشايخ مواهبهم اللدنية في مجالس دروسها، فعادت بهجة روض عرفانهم رائقة الإشراق، وظهرت حدائق وارداتهم الإلاهية يانعة الأحداق، وتنافست في اجتلاء مطالع أنوارهم نفائس الأحداق.

يمينا لقد طوقتم الدهر عقده وأضحكتم الأيام بعد بكائها
وأطلعتم شمس المعالي بأفقتها فسارت مسير الشمس وسط سمائها

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا إن شاء الله من أعظم الذخائر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من أطيب العناصر، وفضله على الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولي المناقب والمآثر.

وبعد فقد أمرَ المحبُّ نظرهَ على ما جُمِعَ من إِملاء سيدنا جميعه،
واستجلى بيان حسنه وبديعه، واستحلى في أثناء حل المشكلات ما أثبت
من تكميله وترصيعه، وحصل الثناء على سجيته السخية، وفطنته الذكية،
وفطرته الزكية، وعلى تبخره في العلوم معقولها ومنقولها، فروعها
وأصولها. ودل عنوان الكتاب وما أفصح به بيت قصيدة المستطاب على
أن سيدنا جمع بين الإمامتين، وخلع له خلعة الولايتين، وفاز بتحقيق
المذهبين وورود المشربين. فمن ذا يدانيه، ومن ذا يعارض، ومن بحره
بحر المعارف فائض، ألا وهو الإمام الهمام، علم الأعلام، ورحمة
الإسلام، القطب الرباني، والغوث النوراني، والسر الرحماني، أبو العباس
سيدي أحمد التجاني، لازالت الأقدار جارية برفع مقداره، والأيام رافلة في
حلة شرفه وحلية وقاره، أمين. وكتبه الفقير إلى الغني المالك، محمد بن
أحمد ابن مالك، عفا عنه مولاه في كل المسالك، أواسط محرم عام 1216
هـ.

التقريظ الثاني منقول من خط كاتبه هناك

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم، الحمد لله الذي رفع منازل أهل السنة وشيد دعائمها،
ووضع مقدار البدعة ومحا معالمها، وأسس أساس الشريعة وأحكم
أحكامها، وأوضح دلائل الحقيقة ابتداءها واختتامها، والصلاة والسلام على

سيدنا محمد عبده ورسوله، القائل يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله¹، وبعد: فلما من الله على أهل هذا القطر بمحبة من أعلى الله مقامه، ومكن من رقاب الضلال سيفه وحسامه، الذي من إملاءه دونت الدواوين الضخام، وصنفت الرسائل الصغيرة الأجرام، حتى اهتدى بسبب ذلك والحمد لله خلق كثير، وارتوى برداء السعادة من سبقت له العناية من العليم الخبير، ألا وهو شيخنا إبريز الأقطاب والأغواث، السيد الرباني، والغوث الجثماني، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني.

وكان من أنبل ما ذكر من مدح هذا السالك لأهل هذا الشأن من الأئمة الأبطال، وإيثاره للهمم الخامدة في فحول الرجال، تحريكا لقرائح هامة لتراكم أهوال وأحوال، وإلا فجواهر لفظها غنية عن الجواب، لاحتوائها على فاصلة الخطاب. ولقد أمرني بكتب هذا من لا تسعني مخالفته، واستجابني فيما هنالك من تعيين إجابته. وإن كنت لست أهلا لذلك، خوفا من الوعيد الوارد في ذلك، ورجاء أن أنتظم في سلك الحامين حمى السنة من عالم عامل وولي سالك، والله أسأل أن يجعله من صالح العمل، ويعصم

¹ - إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين. إهـ. أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب أخذ الحديث من الثقات 1: 359 رقم 601.

الأفكار من الزيغ والزلل، كاتبه عبيد ربه المجيد أحمد بن سعيد قدوره¹،
يسر الله أموره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.
وحيث ذكرنا مما نقلناه من المکتوب مع النسخة المذكورة ما تقدم،
وكننت عثرت فيها بخط جماعة من أحباب الشيخ رضي الله عنه على
بعض الفوائد التي تتشوف نفس من لم يقف عليها من الإخوان، أحببت أن
أنقل منها ذلك هنا إتحافاً لهم بها استجلاباً لدعوة صالحة من أخ صالح.

الفائدة الأولى منوطة بشرب سكر القالب

الحمد لله، ثبت عندنا وتقرر من طريق الثقات من أصحاب مولانا
الشيخ رضي الله عنه أن من شرب السكر القالب ليس عنده ورد الشيخ
رضي الله عنه، ويحتاج إلى التوبة وتجديد الإذن في الورد المذكور².

¹ - أحمد بن سعيد قدورة، فقيه صوفي جليل، من أعلام الطريقة التجانية بالجزائر، قال عنه العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج أنه من بيت علم وحسب وفضل ونسب، وعموماً فهو من عداد العلماء الذين التقى بهم الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، وذلك بالجزائر، إبان سفره للديار المشرقية سنة 1216 هـ، أنظر ترجمته في رفع النقاب 1 رقم الترجمة 89.
² - أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفيني (باب حرف السين) ونص قول سيدنا الشيخ رضي الله عنه في هذه المسألة هو: سكر القالب حرام أكله وبيعه، ثبت عندي أنه مصفى بالدم، وقال فيه أيضاً: هو عندي بمنزلة الخمر.

وكتب به عبد ربه الطيب بن محمد الشهير بالسفياني¹ لطف الله به
وختم له بالحسنى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

¹ - الطيب بن محمد السفياني، أحد أعلام الطريقة التجانية، توفي عند زوال يوم الأربعاء 6 جمادى الثانية عام 1259 هـ، ودفن خارج باب عجيسة بفاس. أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 20، نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه، 8، 45. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 21. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 10، كشف الحجاب، عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 170-184، الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 8، رفع النقاب، للمؤلف نفسه 2: 235 - 249، جناية المنتسب العاني، فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 70-71، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 11 (مخطوط)، كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي، 31 و 36 و 104، غاية الأمان، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 25 رقم الترجمة 8، الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 27، اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، للمؤلف نفسه 94، إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13، إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 175، موسوعة أعلام المغرب 7: 2567 معلمة المغرب 15: 5011 رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 75، رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب أيضا 1: 48 و 152 ثم 2: 287 و 310 و 313 إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 6، أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين، لمحمد الأزاريقي 117، التجانية والمستقبل، للفتاح نور 149-151.

وكذلك عبد ربه محمد الكبير لحو¹ التجاني لطف الله به أمين،
وكذلك عبد ربه التهامي التدلاوي لطف الله به أمين، وكذلك عبد ربه
الحاج العربي بن عبد القادر التازي² لطف الله به أمين.

وهذه المسألة قد شغلت أفكار كثير من الإخوان ممن يهتمهم أمر
طريقهم، واضطربت فيها الأنظار، وقد ثبت عندي رجوع الشيخ رضي
الله عنه عن القول بنجاسته، فشربه بعد ذلك الإخوان بمحضره، ولم يشربه
هو وقوفا مع نيته التي عمل عليها من أول الأمر، وقال: "شيء تركناه لله
لا نعود فيه" وقد بسطنا القول على هذا في غير هذا الموضوع فليراجع في
تأليفنا المسمى بالإجادة على الإفادة.

الفائدة الثانية متعلقة باستعمال غلة حبس في حبس آخر

الحمد لله، بعد ما أتى بعض الأحباب بحصور وزيت من القرويين
ليلة سبعة وعشرين من رمضان في زمن حياة سيدنا رضي الله لزاوية

¹ - سيدي الكبير لحو، أحد مشاهير أعلام الطريقة التجانية، توفي بفاس في 17 شعبان عام
1277 هـ، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني
بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 39. كشف الحجاب عن تلاقي مع الشيخ
التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 507-509. رفع النقاب للمؤلف نفسه 2: 275-276.
تطبيب النفوس بما كتبت من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط).
جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). جناية المنتسب
العاني بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 55. الجواهر الغالية المهداة لذوي
الهمم العالية، للمؤلف نفسه 11. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين، لمحمد الأزاريقي
117. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي 36 و 86 و 179. زهر الأس في
بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير الكتاني 1: 376.

² - العربي بن عبد القادر التازي، من مريدي الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه،
أنظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة
الحجوجي 1: 351 رقم 96. نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني
بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 71. رفع النقاب للعلامة سكيرج 4: 95-97.

سيدنا رضي الله عنه. أمر برد ذلك إلى الناظر، وقال: ذلك حرام، أعطوا درهما للواحد واشتروا ما تجلسون عليه، وكتب به عبد ربه الطيب بن محمد الحسن الشهير بالسفياني لطف الله به.

وقد ثبت لدي أن الشيخ رضي الله عنه كان مشددا في هذا الأمر كثيرا، بحيث أنه كان لا يحب إدخال استغلال حبس في حبس، وبالأخص أحباس القرويين. فقد استولت على أوفار الأحباس، وصرفت مدخولاتها في غير محلها. فكان ذلك مصروف في غير ما هو معين له، وليس ذلك بالأمر الهين عند من عامل الله في أمر الدين، وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة أيضا في شرح الإفادة عند قول الشيخ قدس سره: أحباس القرويين حرام لإضافة أحباس غيرها إليها¹.

الفائدة الثالثة في التحذير من إذاية الإخوان

الحمد لله، سمعنا سيدنا رضي الله عنه يقول: قال لي صلى الله عليه وسلم: قل لأصحابك: لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم². وذلك لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الشيخ رضي الله عنهم بسبب كثرة الصلاة التي يصلون بها عليه كل يوم، فهم عنده ملحوظون بعين الرضى والمحبة التي اقتضت حصول الإذاية له بإذائتهم، وإذاية بعضهم لبعض يستتف منها، فأوصى بترك الإذاية، وفي ضمن ذلك الوصية عليهم بإخلاص المودة فيما بينهم لشدة اتصالهم بجنابه الرفيع. وقد

¹ - أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف الألف)

² - أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف القاف)

بسّطت القول على هذه المقالة في شرح الإفادة المذكورة. والإشارة إلى مثل هذه المقالة تتلقى بالقبول عند من أراد السلامة لنفسه، ولا معنى لإنكارها عن تلقاها عن الحضرة المصطفوية، فليراجع ذلك من أرادها هناك.

الفائدة الرابعة في الإيحاء بمراعاة حقوق الإمام

الحمد لله، سمعنا من سيدنا الشيخ رضي الله عنه مشافهة أنه قال لنا: من كانت عنده أمة يزوجها لنفسه أو يزوجها لغيره، أو يبيعه بهذا الشرط، وإن لم يفعل ذلك فليحط سبحتي ما بيني وبينه شيء، فسأله بعض الأصحاب عن كانت ملكا لزوجته، فأجابه رضي الله عنه بقوله: يقول لها إن لم تفعل ذلك نطلقك¹. إه.. فهذا من الشيخ رضي الله عنه تحذير كبير من إضاعة حقوق الأمة المملوكة.

وقد أهمل الناس هذا الأمر، فتسببت عنه أمور مخلة بالمروءة، وكثيرا ما أفضت إلى فساد كبير، لأن الأمة غير معصومة، وهي لا تطيق الإهمال الكلي، فلا شك أنها تميل إلى الخنا مهما تآتى لها، وتضمّر السوء بمالكها، وتتحين له أحيانا تغتم فيها فرصة المكر به، ولو بإطعامه السم مع أهله، إن لم يؤثر فيه لها ما تشتغل به من السحر الذي عمت البلوى به وبمتعاطيه الآكلين به الأموال الباهضة، وهذه المسألة عقدها صاحب المنية في قوله

¹ - أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيد الطيب السفيناني (باب حرف الميم)

وصح عن هذا الإمام ما ترى من بعد ذا البيت ترى مسطرا
فتارك إمائه في الضر من غير تزويج ولا تسري
أو بيعها بأحد الشرطين فليس شيء بينه وبينني¹

وهي مسألة مهمة في الطريق والذي ثبت لدينا أنها ليست من قواطع الإذن الصحيح وإنما ذلك من الشيخ رضي الله عنه تحذير من إضاعة هذا الحق الواجب على مالك الأمة وقد أفضت القول في غير هذا المحل فيها والله الموفق.

الفائدة الخامسة فيما يقطع المرید عن الطريق

وسمنا منه رضي الله عنه أن ثلاثة مسائل تقطع المرید عن الطريق، زيارة الأولياء، وورد آخر، ومجالسة المبغضين للشيخ²، إهـ.. فالمسألة الأولى ينقطع بها المرید لدلالاتها على التفاته عن جناب شيخه ومخالفته في أمره به من التعلق به وجمع الهمة عليه ليتم أمره، والمسألة الثانية لما فيها من تشتيت الهمة في السير الذي طلب من المرید أن يكون فيه صاحب اعتقاد وتوجه تام بالوجهة الواحدة لنيل المراد، والمسألة الثالثة هنا لأنها تؤدي بالمرید إلى ترك الورد بسبب سوء الظن في الشيخ وفي طريقته، لأن مجالسة المبغضين سم يسري، وقلما جالس المرید المبغضين وسلم من إذابتهم له في الشيخ رضي الله عنه بإطلاق لسانهم في حضرته،

¹ - أنظر منية المرید، للعلامة التجاني ابن بابا العلوي، رقم الأبيات

² - أنظر الإفادة الأحمدية لمرید السعادة الأبدية، لسیدی الطیب السفیانی (باب حرف التاء)

وقد تعرضت لهذه المسألة في غير هذا المحل، فلنكتف بهذه الفائدة هنا، ونجعلها في هذا المقام مسك الختام، لما نحن بصدده لتنتفرغ للمقصود فنقول:

التعريف بمؤلف المقصد الأحمد

هو نابغة زمانه، وفريد أوانه، العلامة الفصيح، ذو الفضل الرجيح، سيدي عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني¹، ولد رحمه الله بفاس وقت صلاة، في اليوم العاشر من رمضان عام ثمانية وخمسين وألف، وتوفي بها صباح يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة وألف، وترجمته واسعة أطل فيها غير واحد، منهم العلامة أبو الزمزمي الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس، قال: وألف فيها بالخصوص أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني²، وأثنى عليه وعلى صريح نسبه، ورفع عموده، وذكر أشياخه وتلامذته،

¹ - عبد السلام بن الطيب القادري، أنظر ترجمته في نشر المثنائي، للقادري 3: 86-115. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 75 و 96. موسوعة أعلام المغرب 5: 1847-1869. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 392 رقم 803. جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3: 796 رقم 44. الأعلام، للزركلي 4: 6. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 281-283 رقم 648. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 473 رقم 1299. معجم المؤلفين، لكحالة 5: 225.

² - أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، فقيه مؤرخ صوفي، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات منها: المقباس في محاسن سيدنا أبي العباس. توفي بتاريخ 2 ربيع الأول عام 1146 هـ، ودفن بالساحة المتصلة بضريح سيدي محمد بن عبد الله معن، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 337-338 رقم 754. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 484-485 رقم 1336. نشر المثنائي، للقادري 3: 363-366. موسوعة أعلام المغرب 5: 2053-2054.

والعلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي¹ متعرضا أيضا لذكر أحواله ومناقبه وأشياخه وتلامذته، ووسم مؤلفه في ذلك بالمورد الهني، بأخبار الإمام المولى الشريف القادري الحسني².

وألف رحمه الله تأليف عديدة، كلها مفيدة، منها هذا الكتاب المعنون بالمقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد³، ومنها مصابيح الإقتباس، في مدائح أبي العباس⁴، جمع فيه ما مدح به شيخه المقصود بالمقصد الأحمد من نظمه ونظم غيره، ومنها الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني⁵، والعرف العاطر، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر⁶، ومعتمد الراوي، في مناقب ولي الله سيدي أحمد الشاوي⁷، ومنها

¹ - محمد (فتحا) بن أحمد بن محمد (فتحا) بن عبد القادر الفاسي، فقيه مؤرخ نسابة صوفي، له مؤلفات كثيرة تربو على الثمانين مصنفًا، توفي بفاس سنة 1179 هـ. أنظر ترجمته في نشر المثنائي، للقادري 4: 163. سلوة الأنفاس، للكتاني 1: 365 رقم 325. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 510 رقم 1428. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 1: 228. معلمة المغرب 19: 6415. موسوعة أعلام المغرب 7: 2384.

² - المورد الهني، بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، يقع في ثلاث كراريس، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 154 رقم 904.

³ - سبق التعريف به في ص 83.

⁴ - مصابيح الإقتباس، في مدائح أبي العباس، جمع فيه ما قيل في حق شيخه سيدي أحمد بن عبد الله معن من قصائد وأشعار، يقع في مجلد وسط، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 283 رقم 1875.

⁵ - الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني والحسيني، يقع في مجلد وسط، طبع على الحجر بفاس سنة 1309 هـ، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 62 رقم 314.

⁶ - العرف العاطر، في نسب من بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر، يقع في مجلد وسط، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 74 رقم 394.

⁷ - معتمد الراوي، في مناقب الشيخ أحمد الشاوي، غير تام، يقع في نحو خمسة كراريس، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 152 رقم 890.

نظمه المسمى مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي العرفان¹، نظم فيه ما يتعلق بترجمة أبي العباس المذكور، وغير ذلك من مؤلفاته، وهي تناهز الثلاثين رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

التعريف بالشيخ أبي العباس مولانا أحمد بن عبد الله

معن المؤلف في ترجمته المقصد الأحمد

يكفي في ترجمته ما جمعه مؤلف المقصد الأحمد فيه من بدايته لنهايته، ولو اختصرت لكانت جزءا مستقلا، ونحن نقتصر على النزر اليسير منها هنا، فإنه رضي الله عنه ولد بفاس تقريبا أواخر سنة اثنين وأربعين وألف، وبها نشأ، وتوفي بها ضحوة يوم الإثنين ثالث جمادى الثانية سنة عشرين ومائة وألف، وارتجت المدينة لموته ارتجاجا، ودفن بقبة والده خارج باب الفتوح، وكان والده رضي الله عنه يعرف بمعن، ثم اشتهر بابن عبد الله، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحد، ويعقوب المنصور هذا كوفي السلف، بصري الأصل، من قيس عيلان بالمهملة بن مضر، وقيل إن يعقوب المنصور المذكور شريف النسب، حسني إدريسي من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس رضي الله عنه، وأنشد فيه في المقصد بعد ذكر جملة من كراماته وأحواله قوله وهو منزع لطيف:

¹ - مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي العرفان، منظومة تقع في نحو 600 بيت. قال في مطلعها:

الحمد لله الذي قد أسندا إليه من بالقرب منه أسعدا
توجد نسخة منه بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم 1235. أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 280 رقم 1843.

أكثر الراون نقلًا في علا قوم وسؤدد
وضلوا منها حديثًا ورووا من كل مسند
من عزيز شد معنى وغريب قد تفرد
وصحيح النقل منها مسند يعزى لأحمد

وقال فيه أيضا:

عجا للناس هاموا بكرامات تعدد
نقلوا الأخبار فيها صاعدات كل مصعد
صح هذا النقل لكن لابن عبد الله أحمد

ومن جملة القصائد التي مدحه بها قوله هذه الأبيات المصدرة
بالثلاثة الأبيات المذكورة في الباب الثاني من جواهر المعاني وسيأتي
الكلام عليها هناك، مع ما ذكر معها هناك، قال:

أنظر لمطلع حسنه وجماله قد أشرقت بجبينه أنواره
سر المعارف قد حواه ضميره فبدت بغرة وجهه آثاره
هو بحرها الطامي ألم ترى أنه تهمني بفيض دائما أسراره
روض الحقائق قد زها من نوره وحيث حدائق زهره أمطاره
طلعت شمس جماله في أفقها وعلا منار العارفين مناره
وبدا لهم كالبدر يعلوه البها في حضرة التعريف عزّ قراره
وبكل نشر قد توضع سره نمت لعشاق به أسحاره
ما في المعارف منزل مترقب إلا علت في جوه أقماره

ونجومه لمعت به وشموسه
فرد المحاسن لا يحاكي سره
قد خاض في التحقيق لجة أبحر
هو بين أهل السبق باز صائل
ولدا المواهب بحر متدفق
ولدا الهزاهز ملجأ متمنع
كم ضامئ روى بعذب زلاله
بالله رفع في الوجود ومن يكن

فلك الجميع عليه صار مداره
سمحت على قدر به أعصاره
وقفت بساحل سرحها أنظاره
إذ ترتقى بسمائه طياره
تجري بإمداد الورى أنهاره
سيف لكل مروع بتاره
ومجاور حميت به أنصاره
بالله يعلوا فوق ذا مقداره

وبعد ذكره لما مدحه به من القصائد تعرض رحمه الله لبيان سبب هذا التأليف، وأنه هو أخوه العلامة أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني¹، وهو الحامل له على تأليفه وجمعه، والحاث له على إتقان صنعه ووضعه، والراغب إليه فيما أبداه وأداء ما أداه، وممن أشار عليه أيضا أخوه في الله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إسماعيل بن عبد العزيز بن الشيخ الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم

¹ - العربي بن الطيب القادري، فقيه مؤرخ نسابة صوفي، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات، توفي بفاس آخر شهر ذي الحجة الحرام عام 1106 هـ، ودفن بجوار قبة الولي الصالح سيدي أحمد اليمني، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 389-391 رقم 801. نشر المثاني، للقادري 3: 67 - 72. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 194-195. الأعلام، للزركلي 4: 224. معلمة المغرب 19: 6573. موسوعة أعلام المغرب 5: 1831-1835.

التادلي الصومعي¹، وهو مع أخيه هما اللذين أشار لهما في أول الكتاب ببعض الإخوان والفقهاء الأعيان جزاهما الله خيرا.

ثم ذكر أنه قد ألف في سيدنا أبي العباس رضي الله عنه مما سوى هذا الكتاب تأليفان آخران، أحدهما وهو أول هذه الكتب تأليفا التأليف المسمى بالإلماع²، يشتمل على خمس كراريس، ومؤلفه هو العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي³، وثانيهما المقباس، في محاسن سيدنا أبي العباس⁴، تأليف الفقيه أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الأندلسي الغساني⁵، وأعانه على جمعه وتصنيفه أبو عبد الله محمد العربي القادري المذكور، فكان هو السبب في إنتاج أمره، كما كان في إخراج غيره، ولمؤلف المقصد المذكور أرجوزة سماها: مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي

¹ - محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي، فقيه صوفي فاضل، له شرح على همزية البوصيري، وآخر على سينية ابن باديس، توفي سنة 1123 هـ-1712م. أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الأعلام 6: 47-48 رقم 738. معلمة المغرب 16: 5584. موسوعة أعلام المغرب 5: 1944. الأعلام، للزركلي 6: 197.

² - الإلماع، ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، لمحمد المهدي الفاسي، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 121 رقم 682.

³ - المقباس، في فضائل أبي العباس، يقع في جزء، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 152 رقم 896.

⁴ - محمد المهدي الفاسي، فقيه مؤرخ صوفي، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها كتابه ممتع الأسماع في مناقب الشيخ الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع. توفي بفاس يوم السبت 9 شعبان عام 1109 هـ، ودفن داخل ضريح جده سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري 3: 80-83. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 473 رقم 1298. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 273-274 رقم 626. موسوعة أعلام المغرب 5: 1842-1844.

⁵ - سبق التعريف به في ص 118

العرفان، استوعب فيها ما يتعلق بأسانيده المنوطة بشيخه المذكور، مشتملة على ستمائة بيت ونيف أولها:

الحمد لله الذي قد أسندا إليه من بالقرب منه أسعدا
أوصله إليه دون غاية بسابق التخصيص والعناية

وقد وقفت على مقامة لطيفة جعلها مؤلفها كالتقريظ للمقصد المذكور، حبب إلي أن أذكرها في هذا المقام حفظا لها هنا، و نجعلها لهذه الترجمة مسك الختام، لكونها تتعلق بأحوال المؤلف والمؤلف فيه، نصها: نحمدك اللهم على ما أسديت من النعم، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد منبع الجود والكرم، وبعد فيقول عبيد الله تعالى، محمد الطيب بن مسعود بن أحمد المريني¹، بلغ الله أمله من مطلوبه الديني، لما أراد الله سبحانه أن يمن علي بمعرفة الشيخ الإمام، القدوة الهمام، المحقق الواصل، العارف الكامل، ذي الهمة السنية، والسيرة السنية، الدال على الله، والناصح لعباد الله، سيدنا و سندنا، و وسيلتنا ومعتمدنا، أبي العباس أحمد بن الشيخ الشهير، العارف الكبير، أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد الشهير بابن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه، وأنالنا بركاته ورضاه.

لقيته يوما وهو قادم من لمطة، فنظر إلي طويلا، ثم سرت قليلا، وقد أخذ قلبي، وذهب بلبي، فالتفت أتفقد نظري، فوجدته بكليته ملتفتا ينظر

¹ - محمد الطيب بن مسعود المريني، فقيه صوفي فاضل، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات منها تبصرة الغافل وتذكرة العاقل، توفي بفاس عام 1145 هـ، ودفن خارج باب عجيصة، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. موسوعة أعلام المغرب 5: 2047-2050. سلوة الأنفاس، للكتاني 3: 150-151 رقم 1025.

إلي، فاعتراني من تلك النظرة دهش وحيرة، وجعلت أقدم رجلا وأوخر أخرى، ولم أستطع عنه صبورا، فلقيت بعد ذلك شيخنا العلامة الشريف الهمام، مولانا أبا محمد عبد السلام¹، فدلني عليه، وأشار علي بما يوصلني إليه، جزاه الله عنا خيرا، و أعظم له عنده منزلة وقدر، ثم وقف علي رضي الله عنه في المنام، وتلقاني بالترحيب وأطيب الكلام، فانتبعت فرحا مسرورا، وقد نلت من القبول حظا موفورا، فأنشأت إذ ذاك مقامة محتوية على نثر ونظام، وبعثت بها إليه، فقبلها، والحمد لله من غير ملام، ورأيت بركتها علي ظاهره، نفعني الله بها في الدنيا والآخرة، ثم لما وقفت على هذا التأليف الجليل، الجامع الحفيل، المسمى بالمقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد، أنشأت فيه مقامة ضمننتها شرح ما اتفق لي معه في الورد، وأسند روايتها إلى الطفيلي ابن مسعود.

وختمتها بقصيدة جعلت تغزلية، ثم تخلصت منه إليه بما لا ينافيه، مادحا للمقصود والمقصد، ومؤلفه الذي جد في تنميته فوجد، فقلت وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق، حدث الطفيلي ابن مسعود، قال: لما تلقاني بوجه الرضي زماني، وحياني طالع السعد بالتهاني، نهضت لأتمم الأفراح، بالمليح والراح، ففاجأني في الطريق، ذو وجه طليق، وخذ شريف وقد رشيق، قد نصب شراك النظر، يقتصص البشر، فرنا إلي بطرفه، وثنى نحوي عنان ظرفه، فمكث نزرا، يلاحظني شرزا، فلم أشعر

¹ - المراد به مؤلف كتاب المقصد الأحمد للعلامة عبد السلام بن الطيب القادري.

إلا وقد نشبت في حبالته، ودخلت في إيالته، ثم غدرني وسار، و غادر في الأسار.

رمانى بسهم اللحظ عن قوس حاجب فهي المحيا فائق الشمس والبدر
فصادف قلبي ثم أعرض تائها فجاءتني الأشواق من حيث لا أدري

فبقيت هيمانا، لا أستطيع كتماننا، متشوقا لأخباره، متشوقا لأثماره،
إلى أن جرت الأقدار بالإيراد بعد الإصدار، فأزعجتني بواعث الأشواق،
للتردد في الأسواق، فلقيت بعض الأصحاب، وندبني للإصطحاب، فقلت
له سمعا، وليبيته طوعا، وسرنا واليمن أمامنا، والخير يقود زماننا، إلى
حيث المسرات محفية، والمبرات مستوفية، فألفينا حضرة عمّ السعد
جنابها، وخدم المجد بابها، ووافتها الأمانى بالبشرى، والمواهب تترى،
والعز ضرب سرادقه، والفخر يروي عن شربها أحاديث صادقه، ومطابقة
لمعاليتها وموافقه، يستضى راقيتها، بنور ساقيتها، قطب مدارهم، وشمس
نهارهم، إنسان عين الإنسان، والجامع بين الحسن والإحسان، يسحر
العقول، ويسخر بالفحول، يسبي النهى، بالجمال والبها

ينبيك ظاهره عن سر باطنه فقد حوى الحلم والإحسان والجودا
لولاه ما نظرت عيناى من حسن ولا ظننت بأن الحسن موجودا

لا يسمع ناديه، غير مناديه، ولا يوثر بنعمائه غير ندمائه، فهم مدعون إليه، مجتمعون بكليتهم عليه، قد ظفروا منه بالأمال، وتلقاهم الرضى بالإقبال، فدام لهم السرور، والفرح والحبور، وانهمرت بهم الدموع السواكب، وخجلت منهم نيرات الكواكب، فازوا بأوفر نصيب، ورموا الواشي بسهم مصيب، ورفضوا العوائق، وحسموا العلائق، وحصلوا على مطلوبهم، ونالوا القرب من محبوبهم، وعلموا أنه من أنفسهم، فحكموه في أنفسهم.

هم الرجال وعار أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

قال الطفيلي ابن مسعود: فلما رأيت ما أعجب الألاحظ، وأعجز الألفاظ، وجدت مقتنص قلبي ينتعل الرؤوس، ومختلس لبي يسترق النفوس، فخيمت بفنائهم، واستظلت تحت لوائهم، لينتظم في سلك درهم صدفى، ويلتم بهم شملي، وينجبر بهم تلفي، فقد سعد قاصدهم، إذ حسنت مقاصدهم، فبينما نحن على بساط الإنبساط، نتجاذب أطراف الإغبتاب، إذ أقبل شخص يتكبل، فرأينا أنه يريد أن يتطفل، فملنا عن مدح الأدباء، لقدح الرقباء، فلما ألم بنا وحضر، ولم يغن منه حذر، وخشي عتابا، أو توهم اغتيابا، أخذ يستميل القلوب، بأشعار في المحبوب، فقلنا يا هذا إن كنت ممن يعرف القريض، ويميز بين الصحيح والمريض، فلنا في هذا المحبوب مقصد جيد، وحالنا فيه متأكد، إن ادعيت بالشعر علما، فصفه نظما، فمكث أقصر من جلسة الخطيب، واعتدال الغصن الرطيب، ثم

استحضر براعته، وشحذ يراعته، وانتضاها أمضى من العامل، ورقم بها
في صفاح الطروس من عروض الكامل:

لاموا عليك وما دروا بالمقصد
زعموا بأن تحيري بتخيري
هيهات لو ذاقوا هواك لأنصفوا
يا لائمي ردد علي حديثه
ودع الملام فما يصد عزيمتي
واعلم بأن تولهي ما ينقضي
إن كنت ذا قلب سليم سالم
قلبي تملكه الغرام بأسره
إني رضيت من الحبيب بهجره
لم يبق في هوى المليح بقية
ما زلت بين صباة ومهابة
لو أبصرت عيناك نور جبينه
أو لو سمعت خطابه وحديثه
أو لو رأيت محاسنا في وجهه
أو لو رأيت جماله وكماله
لخضعت إجلالا وصرت أسيره
ورأيت من صنع المهيمن صورة
ورأيت روض الأنس حيث قلوبنا

ورأوا ملامي للسلامة مرشدي
فرثوا الطول تجلدي وتسهدي
وأثوا بعذر للمحب م مهد
فالأذن تعشق ذكر ذاك الأعيد
شيء فساعدني و إلا فابعد
أبدا ووجدي مزبدا لم ينفد
فأنا السليم وليس تدري عودي
فجوارحي أبدا بذلك تقتدي
هبني بذلك اهتدي أو أعتدي
تصغى لقول الناصحين الشرد
متحيرا فيه أروح وأغتدي
وضيائه كالوكب المتوقع
يشفي غليل المستهام المكمد
جمعت وإحسانا له لم يجحد
وبهائه وعلاءه كالفرقد
وجبلت من شغف به لا تفتدي
وسريرة في غيره لم توجد
ما بين طيار بها ومغرد

أجني المنى من خذه المتورد
وتلطف وتعطف وتودد
ياليتها دامت لصب مبعده
بعذيب منطقه الشهى المورد
إلا رقيب الفجر أدنى موعد
كمنضد من لؤلؤ وزبرجد
والنهر كالسيف الصقيل المغمد
صوب الحيا بتهطل متجدد
مثل العقيق وأصفر كالعسجد
من نوره كرما بغير تبدد
والطير يصدح في الغصون الميد
وتخر إجلاله كالسجد
جاد الزمان بها برغم الحسد
طويت عليه من السرور السرمدى
عزمي كأني رمت عليا أحمد
لا بل صفات إمامنا ذي السؤدد
طرا كان أحقهم ذو المقصد
ويزيد في إيمان كل موحد
راو روى خبرا كهذا المرشد
ما حازها في وقتنا من أمجد

حيا الحيا أيام كنت بقربه
لم أنس ليلة جاد لي بتألف
غفل الرقيب فنأت منه فرصة
بتنا نشعشع خندريس لحاظه
حتى الصباح وما ألم بديرنا
حيث الربيع تفتقت أنواره
والزهر ينثر في بساط أخضر
والروض مبتهج النبات يزينه
ما بين أبيض كاللجين وأحمر
والغصن قد بعث الصبا بدراهم
والجو ينفح والنسيم معنبر
فتميس من طرب لذاك وتنتهي
لله ما أشهى وأحلى ليلة
عجز اللسان فلم يطق إحصاء ما
ما رمت أحصر وصفها إلا انثى
يحصى الحصى والرمل دون صفاتها
لو كان يدرك وصفه مداحه
فلقد أتى فيه بما يسبى النهى
ما إن رأى راء له شبيها ولا
فيه الفضائل والمكارم جمّة

نعم الذخيرة والجليس فلم يدع
ويؤنس الصب الغريب وينعشش الفاني ويجلو غبة القلب الصدي
سرح لحاظك في رياض صفاحه
وأنخ ركاب العزم تحت لوائه
يغنيك عن زهر الربيع وزهوه
واشكر لجامعه الموفق سيدي
أكرم به من سابق في علمه
ماذا به طيب يا ابن الطيب الأسماع
وأفدتنا من كمياء علومكم
ماناب عن كنز وحرز نافع
وسلكت منهاج التحقق للعلی
لازلت نفاعا مفيدا ناصحا
تسري مواهب ربنا ما نالها
هذا هو الحسن البديع طرازه
هذا هو السحر الحلال يروح العاني وينفي كل خطب أنكد
وتولها وتحير الم يخدم
فالشمس ما وضحت لعين الأرمد
هذي مناقب فوق كل تعدد
تجلو العشا عن طرفنا كالإثم
هذي رياض نمقت أزهارها

هذي ثمار المجد لكن قطفها
هذي ينابيع الروض هذي مرا
هذي فضائل لا يحاط بقدرها
هذي طريقته السليمة أوضحت
هذي الحقائق بعض بعض علومه
هذا أبو العباس أحمدنا الذي
هذا ابن عبد الله من إفضاله
هذا الذي أخذ القلوب فأذعنت
أكرم به من أكمل ومفضل
نال السيادة والمجادة والإفـ
مانالت السباق بعض كماله
أو هي تقدمه قوى حساده
أعيا وأتعب من تصدى بعده
فجزاه رب العالمين بفضله
والله يرضيه ويرضي دائما
والله يهدينا به لطريقه
وينيلنا إحسانه بقبوله
صلى عليه إلهنا ما أقبلت

باللحظ يحصل للنهي لا باليد
تع العلى هذي مواضع أسعد
طول المدا هذي شمائل سيدي
سنن الشريعة للمريد المهدي
فاعجب لذا البحر الخضم المزبد
ورث المكارم عن أبيه محمد
عم الورى من أبيض وأسود
طوعا بنظرته بغير تردد
ومبجل ومعظم وممجد
ادة والعبادة والسعادة في غد
كلا ولا ضاهاه كل مسود
لما تفرد بالعلا و السؤدد
من ذا يصول بوالد كمحمد
علا جزاء العارفين الهجد
عنه ويكلؤه ليوم الموعد
ويديمه ليقيم كل تأود
فينا شفاعته بجاه محمد
بزل تجوب له الفلا بالفدقد

انتهت بحمد الله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

المطلب في إعلام الإخوان بأن الشيخ التجاني رضي الله عنه قد
اجتمع بسيدي عبد الله بن العربي بن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد
الله معن¹ المذكور رضي الله عنهم

قد تعرض في جواهر المعاني عند ذكر من اجتمع بهم الشيخ التجاني
رضي الله عنه بأن منهم سيدي عبد الله بن سيدي العربي بن سيدي أحمد
المذكور، المؤلف فيه المقصد الأحمد، وقد أخبر مؤلف الجواهر بأنه غسله
بيده وجهزه²، وسنأتي هناك بحول الله بطرف من ترجمته، وقد وقع إقحام
لفظة النجل عند تحليته في قوله:

¹ - عبد الله بن العربي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله، صوفي جليل، التقى به الشيخ أبو
العباس التجاني رضي الله عنه بمدينة فاس إبان زيارته الأولى لهذه المدينة سنة 1171 هـ،
توفي عام 1188 هـ، أنظر ترجمته في معلمة المغرب 21: 7203. سلوة الأنفاس، للكتاني 2
: 402-403 رقم 816. موسوعة أعلام المغرب 7: 2404. إتحاف المطالع، لابن سودة 1:
38.

² - أنظر جواهر المعاني لسيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص

ولقي بفاس الولي الصالح، نجل العارف الرابع، سيدي عبد الله، كما وقع سقوط اسم العربي عند التعرض لذكره في جامع¹ العلامة ابن المشري² رحمه الله، فإنه قال: ثم تلاقى مع سيدي عبد الله بن عبد الله، ولد سيدي أحمد بن عبد الله صاحب المخفية الشهيرة بمدينة فاس.

¹ - أنظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة ابن المشري ص

² - محمد بن المشري السائحي السباعي، أحد أبرز أعلام الطريقة التجانية، توفي بقرية عين ماضي سنة 1224 هـ، ودفن بها بين قبوري والدي الشيخ رضي الله عنه. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 149-155. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 191-194. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 65-68. الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 127 (مخطوط خاص)، تطيب النفوس بما كتبت من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نسبه 208 (مخطوط) ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 58 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 168. فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 25. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 11. جواهر المعاني وبلوغ الأمانى، لسيدي الحاج علي حرازم 1: 62-63. بغية المستفيد لشرح منية المرید، لسيدي محمد العربي بن السائح 256. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 106-107. غرائب البراهين، في مناقب صاحب تماسين، للعلامة سيدي محمود بن المظمية 22. غاية الأمانى، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني رقم الترجمة 5. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين، لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 310. وقد أفردته بترجمة موسعة عند تحقيقي لكتابه نصره الشرفاء في الرد على أهل الجفاء 1_ 18. وأفردته العلامة سيدي محمود بن المظمية بكتاب سماه: المطع البدرى في التعريف بابن المشري. الدرّة الخريفة، للعلامة النظيفي 1: 112 التجانية والمستقبل، للفتاح نور 149. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للعلامة إدريس العراقي 119 و 141 و 169. تقضيض ظاهر و باطن الأوانى، بتكميل كتاب نيل الأمانى، للمؤلف نفسه 2: 418 و 470 و 478 و 515 و 516.

ووقع له ذلك أيضا في كتابه مواهب المنان¹، فحصل الغلط بسبب ذلك لجماعة من الإخوان وغيرهم في إسم من لقيه الشيخ منهم بفاس، حتى أن العلامة الشهير أبو الزمزمي البركة سيدي محمد بن جعفر الكتاني أبقى الله حرمة وقع له الغلط في ترجمة سيدي العربي والد سيدي عبد الله المذكور، من كتابه سلوة الأنفاس، فإنه قال: وممن لقيه (يعني المترجم له) هناك بفاس وتبرك به الشيخ أبو العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ذكر في جواهر المعاني². إهـ.. فأنت تراه نسب إلى جواهر المعاني بأنه لقي بفاس سيدي العربي رضي الله عنه، مع أن الشيخ ما لقي بها إلا ولده سيدي عبد الله.

و يدل على صحة ما قلناه أن الذي لقيه الشيخ رضي الله عنه توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، وفق ما نص عليه في الجواهر المذكور، بخلاف والده سيدي العربي بن سيدي أحمد³ رضي الله عن الجميع، فإنه توفي رضي الله عنه سنة ست وستين ومائة وألف، حسبما نص عليه غير واحد، ونقله في السلوة المذكورة، وقد علمت موجب الغلط طبق ما ذكرناه هنا، وسنزيد ذلك بسطا بحول الله عند التعرض لترجمته فيما سيأتي إن شاء الله مع ترجمة سيدي العربي هذا، نقلا عن ترجم له، والله الموفق.

¹- أنظر مواهب المنان (روض المحب الفاني في مناقب الشيخ أبي العباس التجاني) للعلامة ابن المشري ص

²- أنظر سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 335

³- العربي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله معن، صوفي فاضل، من أعلام مدينة فاس، ولد ضحوة يوم الأربعاء 9 ذي القعدة عام 1079 هـ، وتوفي بالمدينة ذاتها سنة 1166 هـ، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 334-336. موسوعة أعلام المغرب 6: 2177. زهر الآس في بيوتات أهل فاس 2: 26.

لاحقة مكملة

للشيخ التجاني رضي الله عنه اتصال حبل برابطة سريه بينه وبين العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن المذكور، وتمكن الإتصال باجتماعه بحفيده سيدي عبد الله بن العربي المذكور، وذلك قبل الإذن له من الحضرة المحمدية، باكتفائه بما يرد عليه من الإمدادات الخاصة به منها عن سائر الشيوخ، ولقد اتصلت الرواية في المقصد الأحمد المذكور للشيخ رضي الله عنه بواسطة من ذكر، وقد أجاز في نسخة روايته محبه الخاص الخليفة السيد الحاج علي حرزاهم برادة، وهي التي أملاها عليه، وكتب على أول ورقة من الجزء الأول وآخر ورقة من الجزء الثاني إجازته، فكان طبق ما نص عليه فيها كلمة منه ورواية عنه.

وهذه النسخة هي التي رتب عليها من أعان الخليفة المذكور أبواب جواهر المعاني، وحذف منها ما لا يناسب أحوال الشيخ رضي الله عنه، وأبقى من ذلك ما نسب ذكره من غيره تصرف في عبارته بزيادة أو نقصان، إلا فيما قل من ذلك، حسبما قابلناه مقابلة منتقد، حتى تحقق لدينا أن ذلك لا بأس به عند المعتقد، إلا ما كان من إلحاق الإجازة التي كتبها الشيخ عليه أولا وأخيرا، ففي القلب منها شيء، حيث نقلنا من محلها من نسخة كتاب المقصد وألحقنا بأول ورقة من نسخة جواهر المعاني وآخر ورقة من أخيرها فإني لم أجد لها معذرة سوى كون الخليفة المذكور رأى ذلك الأمر سهلا، وفي هذا المحل يتحقق أمر المنتسب لهذه الطريقة بما يجده عند وقوفه على هذا المقال، الذي أفصحنا فيه عن وجه الحق في هذا الشأن إلى

مراجعة ما أسلفنا ذكره من الأحوال، التي تعترى المرید والمطالع على ما حررناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ذكر إجازة الشيخ رضي الله عنه للخليفة

سيدي الحاج علي حرازم برادة وضمانته له

لمن من الله على صاحب الترجمة بتعرف الشيخ رضي الله عنه له، وأمه من أسرارها ما أذهب كافة علة، تاقت نفسه للدخول لحضرة الوصول، بنيل تعجيل الفتح عليه، والظفر بما واعد به رضي الله عنه حين ألقى نفسه بين يديه، فكتب إلى سيدنا رضي الله عنه هذا الكتاب، نائباً عنه في الخطاب، ليفوز منه بالجواب.

ورب كتاب كان أنفع للفتى
بنيل جواب منتج لمطالبه
فيشرح فيه ما تقاصر نطقه
لدى عرض حال منه عند مجاوبه

ونصه الحمد لله بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها، والصلاة والسلام على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها، وعلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا أبي العباس السلام التام والقرب العام من حضرة ربها.

أما بعد، فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذي أسدى الله فضلاً ورحمة ومدداً إلينا، أن يتفضل علينا سيدنا بما وعدنا بخط يديه الكريمتين إلينا، كما هو معهود من فضل سيدنا من غير استحقاق منا، بل محض فضل وإكرام وامتنان علينا من سورة $\text{ت}+\text{ن}+\text{ج}+\text{س}$ بما لها من الأسرار والعلوم

والوقت، وما لها من اللزوم، ودفع عوارضها من الشرور والهموم، وإعطاء ما لديها من الأسرار والعلوم، وأن يديم عليها بحول الله على عدد الدهر والعموم، وكذلك الكتاب أيضا على ما يليق بالحال، ويزيل الإشكال، وإن ظهر لسيدنا أمر آخر فهو أدري بحالنا، ولا نستحق شيئا على سيدنا، إنما ذلك فضل منه علينا، وأطلب منك يا سيدي الضمان الذي ضمنت لي بخط يديك من مقام مولانا الهمام الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي الحاتمي، بما له من العلوم والأسرار والأحوال وسائر المقامات، وأن نكون وارثا له في جميع ذلك على كمال الأحوال، مع حفظ الشريعة المطهرة، وبشريتي محفوظة علي ضمانا لازما عند وصولي للمقام، وأن تفرغ علي من جلايب الحكمة الإلهية والأسرار الربانية، وعلوم الشريعة وكنوز الحقيقة عند وصول هذا المقام دفعة واحدة من غير مشقة ولا تعب، وما طلبت مقام ابن العربي حتى عرفت وتحققت أن مقامك أعلى منه، ولا مطمع لي فيه، ولا ينبغي أن أحوم حوله.

وأطلب منك سيدي أيضا أن يدفع الله عني جميع العوارض التي تقطعني عن جميع الخيرات، فإني إن حاولت أمرا قطعني عنه العوائق، ولا طاقة لي برفعها عني، وهذا الأمر عندي محقق الوقوع، وأنا عبد الله سألتك سيدي بوجه الله وذاته العلية وجاه رسول الله وجاهه عند الله إلا رحمت غربتي، وتوجهت إلى الله في دفع ملمتي التي حالت بيني وبين حقيقتي، فإني تحققت أن الفتح الأكبر لا يقع إلا بعد وصول المقام، ولا مطمع لي فيه الآن، وأما تنوير باطني واستقامته وإظهار فضلك ومددك

علي وحصول الخيرات لدي ظاهرا وباطنا فلا أقبل فيه عذرا من سيدي من الآن إلى حصول المقام، وبعد حصول المقام مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وأن تقبلني قبولا تاما، عاما شاملا، جامعا لأحوالي الظاهرة والباطنة، مع أولادي وإخواني وأحبائي وكل من أخذ عني وردك قبولا لا ينقطع عني إلى دخولي معك في أعلى عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم.

وأطلب منك الضمان لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ضمانا لازما لا ينفك عني إلى دخولي الجنة، وأطلب منك الضمان أيضا أن كل ما أحاوله ينتج لي من أمر الدنيا والآخرة، وأطلب من الله جلت قدرته ومن كمال فضلك ومددك الساري إلي أن أكون في جميع ذلك على بصيرة نافذة من ربي، وأن لا يدخلني خلل في طريقي، ولا في حقيقتي. وأن تكون شريعتي كاملة وحقيقتي جامعة، وأن لا يتصرف في مخلوق دونك، وأن أكون مأمونا من السلب إلى دخول منزلي في الجنة، وأن تعاهدني أن لا تضرنني ولا يحصل لي ضرر من جنابك لتقصيري وتفريطي، وعدم معرفتي لحرمتك وعلو منصبك، فإني لا أقدر أن أقدر قدرك، ولا أعرف أدبا نتأدب به معك، إلا إني ملقى بين يديك، وأسلمت قيادي لك ظاهرا وباطنا، فأنت أولى بي من نفسي، فلا أعرف ما ينفعني وما يضرني، ولا كتبت هذه الحروف إلا جهلا مني، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

وأطلب منك سيدي الضمان في كل ما يصدر مني من الأسباب المرضية، وممن طلب مني الدعاء أو حاجة من حوائج الدنيا، والآخرة ما عدا الأمور المخزنية، فإني بريء منها، وإن طلب مني أحد شيئاً فإني أتوجه إليك بهمتي إليك فأطلب منك، فما أجابني به قلبي فعلته، إما بالترك أو الفعل، ولا أفعل فعلاً إلا بالله تعالى ثم بك، وأحوالي الظاهرة والباطنة كلها موقوفة عليك، وتحت حكمك وطوع يديك من الآن إلى حين وقوفي بين يدي الله، وهذه شهادتي بين يدي الله، فإني تحت حكمك وطاعتك، ولا أخالفك بحول الله وقوته في سرّك وجهرك إلى دخولي جنتك، فأنا ولدك وعبدك وخديمك ومريدك، فلا مفر لي من بابك، وإن طردتني عن جنابك فأنا ملازم الباب، اعفر خدي في باب الأعتاب، ومنتشفع إليك بحبيب الأحباب سيدنا محمد عليه من الله الصلاة والسلام، فأقبل طلبتي، وجاوب عما في كتابي ليطمئن قلبي، ولا يخفى عليك حالي كيف خرجت من داري، ولا رجوع لي إليها إلا بهذا الضمان، وحين أفارقك يظهر علي خيرك ومددك الساري، فقد عاقني الدهر، وفارقني النوم، وضاع عمري هملاً.

وأطلب منك سيدي أن أكون منك على بال، ولا تتساني سيدي، وراعي أحوالي الظاهرة والباطنة، ولا تقطع عني مددك لمحة واحدة سيدي لوجه الله، وأسألك سيدي بوجه الله العظيم، وبنبيه الكريم، أن تبشرني ببشارة إن كان لي نصيب في هذه الطريق العظيمة أو لا نصيب لي فيها، وهذا سوء أدبي وجهلي، فسامحني و اعذرني لما حل بي من

الهجران والقطيعة عن حضرة ذي الجلال والإكرام، والأهم عندي هو رفع العوارض عني جميعا، ولا أقبل فيهما عذرا لله تعالى، وهذه العوارض والعلائق والعوائد هي المانع لي من جميع الخيرات، فإن صرفت سيدي همتك إليها صارت هباء منثورا، وانزاحت عني، فإن اتكلت على عمل أعمله ضاعت أوقاتي ولا ينتج لي شيئا، فإن توجهت العلية انزاحت عني الهموم والغموم، ورقت إلى الأسرار والعلوم، وربحت ربعا عاجلا وأجلا من فيض علام الغيوب، فالله الله الله سيدي لوجه الذات العلية وَجَّةً وجهتك إلي وقلبك لدي لحظة واحدة تنزاح عني هذه العوارض والعوائق، وتتكشف لدي جميع الحقائق، فإن قبلتني قبولا تاما فبخ بخ، وإلا كنت من الهالكين، وكلا ومعاذ الله أن تردني خائبا خاسئا حسيرا، فأنت سيدي بحر زاخر لا تكدرك الدلاء، ولا ينقص جودك الإنفاق، وفي كل لحظة تأتيك من فيض الله الأرزاق، ولنقصر العنان، ونطلب منك تطهير الجنان، وأستغفر الله مما كتبت يدي، وإساءة الأدب في حضرة سيدي، فأسألك العفو والتجاوز والصفح والقبول، كما هو معروف منك متداول.

ولولا جهلي ما كتبت حرفا واحدا، إلا لضعف حالي وقلة بضاعتي، ولكن علمت وتحققت أنني خديمك وحببيك وولدك، أسألك وأطلب منك بأني حببيك ومحبوبك في الدنيا والآخرة، وهذا لا أقبل فيه عذرا، والسلام عليكم، ورضي الله عنكم، وأدام حياتكم لنا، وجعل نفع المسلمين كافة على أيديكم، وأطلب منك أن يميتني الله على محبتك، وأولادي وأحبائي، وتضمنه لي، والسلام من عبدكم وتلميذكم وخديمكم، أفقر الورى إليكم،

والغني بكم، علي حرازم برادة لطف الله به آمين والجواب بما يقر الله به العين، ويطمئن به القلب، وتسكن إليه الجوارح، والسلام من الله عليكم، ورحمة الله لديكم في كل لمحة آمين، انتهى ما كتبه رضي الله عنه.

فأجابه سيدنا رضي الله عنه وفق مطلوبه بما قرت به عينه، واطمأنت به نفسه، وتيقن بتحقيق الوعد الذي وعد به، ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وعليكم السلام، أما ما ذكرت من العوارض الحائلة بينك وما تقصد من عمل الآخرة فاعلم أن سببه ما تمكن من نفسك من الميل إلى الراحة، واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات، فإنها سمعت أن مقام المعرفة بالله حاصل لها بلا تعب، فمالت إلى ما يقتضيه هواها من الراحة، فلو أنها علمت أن مقصودها من المعرفة لا يحصل لها إلا إذا جدت فيما هو من أمر الطريق معروف، وفارقت كل مألوف، لأجابت إلى ما يراد منها من المجاهدة، لأنها تريد الظفر بمطلوبها، فلما سمعت أنه يحصل لها بلا تعب لم تجب إلى ما يراد منها من المجاهدة ومفارقة الحظوظ، فكل عارض لا بد له من ظهور حكمه، فمن ظن أن قيام العارض بالقلب على حاله يمكن معه نقيض حكمه فقد جهل أمر الله عز وجل، ولم يحصل له من ظنه إلا التعب لا غير.

ومثل العارض كالسحاب في السماء، ومثال ما وراءه من المجاهدة كالشمس، فإذا صحا السماء من السحاب طلعت الشمس، وإذا وقع السحاب دونها حال بيننا وبينها فلا يمكن وقوع السحاب في السماء، وطلوع

الشمس ضاحية من ورائه، وتعقل هذا وتأمله تستفد منه علما عظيما، وحيث قامت العوارض بالقلب من الميل إلى الراحة، واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات، امتلأ القلب بصور الأكوان والميل إليها، وحيث وقع ذلك تمكن تخليط القلب في أمر الهوى والبعد عن حضرة القدس وعن جميع مقتضياتها، فلا تزول منه هذه الأمور إلا بوارد الفتح الذي يفيض معه بحر المعرفة بالله، وإلا فلا تطمع أن يخلو قلبك من الظلام والكدر ما دامت في قلبك هذه العوارض، وحضرة الحق جارية على النسب، لا تخرج عن نسبها.

واعلم أن ما تطلبه له أجل مقدر، إذا جاء وقته جاء، ولا يتعجل بطلب تعجيلك، ولو رمت الخروج عما أنت فيه إلى تنوير القلب وصفاءه فاذهب وانقطع عما سوى الله، واستغرق أوقاتك في الذكر المفرد ترى العجب من تمكين الصفا، فإن لم تساعفك نفسك على هذا فاعلم أن مراد الله منك ما ذكرنا، واترك عنك ما يتغلغل في قلبك من خواطر السوء المفضية إلى سوء الأدب مع الله ومعنا بطلبك أمورا لا نسبة لها فيك إلا نسبة نقائضها

لقد رمت الحصاد بغير حرث يغوص البحر من طلب اللآلي

وهذا القدر كاف إن فهمت، وأما ضمان المعرفة بالله من مقام محي الدين فإنه أضمنه لك، إلا قطبانيته فلا أعلم فيها أمرا ولا غيره، ولا أضمنها، وهي موكولة إلى مشيئة الله وعلمه، وأما محبتك لنا فأنا أضمنها لك أن تموت عليها إن فارقتك ما تخوفته عليك، وإني تخوفت عليك من

طلبك الأغراض منا أن تتقطع عنا، وليس ذلك من جهتي، وإنما هو من جهة إكثارك منها، فإذا طال أمرك ولم تر شيئاً من أغراضك قال لك الوسواس ليس تم شيء يرجى، ولا فائدة تجتني، فانهدم قصر اقتصارك علينا برغبتك في غيرنا، فتقطع المحبة من أصلها، وتقع فيما لا قدرة لك على حمله من الضرر، ولا أذكره لك لعدم إمكانه، وإن انقطعت عنا رأيته ولو بعد حين، فتندم حيث لا ينفع الندم، بل اذهب والزم والتزم ما قلنا لك من الأوراد، مسلماً قيادك لله في الرضا ما أقامك فيه، حتى يأذن الله لنا ولك بالفتح فقط، ودع عنك ما عدا هاذان، وأما ما طلبت من الضمان في المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس، ممزوجة حقيقتها بالشرعية، فإن أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير، فلا تحتاج إلى ضمانة، وأنا ضامن لك ألا تسلب مادمت في محبتنا، وكل مادونه من دخول الجنة بلا حساب إلى ما وراءه وما قبله.

وسامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب، وأما السورة فتداومها 11000 كل يوم وكل ليلة، مختلياً وحدك وقت ذكرها فقط، وبدءها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مرة، وتهدي ثوابها لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء الأحياء، ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتتاديح دستور يا أهل النوبة، جبهتي تحت نعالكم، ح ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين، ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم تسأل المدد في سر السورة وفق قضاء الحاجة التي تريدها ثلاث مرات، في كل مرة تناديه ثلاث مرات، وتسأل المدد منه صلى الله عليه وسلم، ثم تسأل المدد من جميع الشيوخ الحاضرين، أعني الأحياء، تناديهم ثلاث مرات، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم 11 مرة بالفتاح لما أغلق، ثم تشرع في ذكر الورد إذا لم يك في حاجة، فإذا فرغت منه صل على النبي صلى الله عليه وسلم بالفتاح لما أغلق 11 مرة، وإن كان لحاجة تنوي الحاجة قبل الورد وبعد الصلاة 11 مرة، تذكر الورد بنيتها، فإذا فرغت فارفع يديك وسل الحاجة منه ثلاث مرات، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم في أول كل مرة وبعدها، ثم اقرأ الفاتح لما أغلق 11 مرة، ولا تقطع الورد عدد أيام الحاجة 11 مرة، فإن استجبت فذاك، وإلا أعد 11 يوما حتى تجاب والسلام. إنتهى ما كتبه سيدنا رضي الله عنه.

وهذا الكتاب مع الجواب نقلتهما في ترجمته من كتابنا كشف الحجاب، وذكرتهما هناك لمناسبة الموضوع، وقد ذكرت هناك إجازة سيدنا رضي الله عنه له، ولا بأس بنقلها هنا، ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، إلخ.. الحمد لله الذي عز جلاله، وعز كماله، وتقدست صفاته وأسمائه، وتعالى عزه، وتقدس مجده وكرمه، وأصلي وأسلم على أشرف مخلوقاته، سيدنا محمد وآله، وبعد: فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني المجيد، أحمد بن محمد التجاني، عامله الله بفضله وكرمه في الدارين، أجزت وأذنت لحبيينا وصفينا، ومحل ودنا وأنسنا، ومن له المحبة الكاملة

الذاتية السارية من سويداء قلوبنا وسرنا، كاتب الحروف علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي دارا، ومنشأ وقرارا، إجازة عامة مطلقة، خالدة تالدة، قلبا وقالبا، وحالا ودواما، وانصباغا بما لدينا من العلوم الظاهرة والباطنة، و الأسرار والفيوضات والتجليات والترقيات والفتوحات والأنوار، وفي مدارج المقامات والإرادات والأحوال والأطوار، في جميع ما أخذناه من النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا منه ومشاهدة، من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار، والخواص والأحوال والأذكار، وفي الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وإملائه الشريف، وقدره المنيف في الطريقة المحمدية، وبما اشتملت عليه من الأسرار والأنوار الأحمدية، وفي جميع الطرق والأذكار والصلوات والأسماء والآيات والسور، وجميع الأسماء والمسميات، والإسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي جميع تراكيبه وأسراره، وعلومه وفيوضاته وأنواره، وجميع تصرفاته عموما وخصوصا، تقيدا وإطلاقا، إجازة وإذنا تاما عاما شاملا لأنواع التصرفات بأسرها، والدعوات بأنواعها وأسرارها، وعلومها وتصرفاتها، أبدا سرمداء، خالدا تالدا إلى يوم الدين.

وقد أقمناه مقامنا بدلا عن أنفسنا وعن روحنا ومقام قدسنا، فهو القائم عنا في حضرتنا وغيبتنا، وفي حياتنا وبعد مماتنا، فمن أخذ عنه فكأنما أخذ عنا، سواء بسواء، لا فرق، ومن عظمه فقد عظمنا، ومن احترمه فقد احترمنا، ومن أطاعه فقد أطاعنا، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله، ومن

خالفه فقد خالفنا، ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الاستطاعة.

وقد أجزنا وأذنا له في جميع مالنا مقروء ومسموع، ومفروق ومجموع، وإجازة ورحلة ومشیخة وإفادة ومروي من حديث وغيره، وقد أذنا له أن يأذن للغير ويلقن جميع ما أخذنا من العلوم الظاهرة والباطنة، وللطرق والأذكار، والخواص والأسرار، والترقي في مدارج الأنوار، في جميع ما أمليناه عليه من حفظنا ولفظنا، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة، ويلقن أورادنا، ويعطي طريقتنا بما لها، ويلقن جميع ما سمعه منا، أو رواه عنا، أو أمليناه عليه بشرطه المعروف المذكور المقرر في محله.

وهذا الإذن منا عام له في حياتي وبعد مماتي، وأذنت له وأجزت أن يقدم الغير في إعطاء وردنا المعلوم بالشرط المذكور المحتوم مدة حياته وبعد وفاته، فله الإذن منا في إعطاء طريقتنا ووردنا من الآن إلى الأبد، يأذن لمن رآه أهلا لذلك، ويأذن له أن يأذن للغير، وهكذا سرمدًا في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فله الإذن الخاص عموماً وخصوصاً، تقيداً وإطلاقاً، قلباً وقالباً، وحالاً ومقاماً وانصباً، خالداً طالداً إلى يوم الدين، وقد سامحته وتجاوزت عنه في جميع ما أكل أو أخذ من متاعي بعلمه أو بغير علمه ظاهراً وباطناً، وفي جميع مخالفته لنا ظاهراً وباطناً، وفي جميع الأحوال الظاهرة والباطنة المتقدمة والمتأخرة مسامحة تامة عامة، خالدة تالدة، قلباً وقالباً،

وحالا ومآلا إلى الخلود الأبدي، وله منا الرضى التام، الأكمل العام، رضى لا سخط بعده أبدا بطريق المحبوبة من الله ورسوله، وعاملته معاملة المحبوبين، الخلفاء الأوداء، أبدا سرمدا إلى الخلود الأبدي، وقد جعلناه الخليفة عنا، وأقمناه مقامنا في العلوم والأحوال والدرجات والترقيات، وأن يكون أحد الأمنين والسلام، وكتب الخديم الجاني، خديم حضرة التجاني الحسني، علي حرازم بن العربي برادة، كان الله له وليا، وبه حفيا، بتاريخ 8 ذي الحجة متم عام 1214هـ. والسلام، وبعدها بخط سيدنا رضى الله عنه ما صورته.

يقول كاتبه عفا الله عنه بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه، وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، أجزت لحبيينا وصفينا سيدي الحاج علي حرازم في كل ما كتب في هذه الفهرسة على صورة ما كتب فيها من أولها إلى آخرها، عينا عينا وحرفا وحرفا، إجازة عامة تامة، مطلقة شاملة، خالدة تالدة، وكتب مجيزا أحمد بن محمد التجاني، عامله الله بفضلته وكرمه ورضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، إنتهى

مطلب مهم فيما أورده بعض المنتقدين على مؤلف جواهر

المعاني فيما لم يعزه لمؤلف المقصد الأحمد مما نقله عنه

لا شك أن الشيء إذا نسب لمن استفيد عنه أفضل من نقله من غير

عزو إليه، سيما في الفوائد العلمية، وقد قيل:

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فلازم شكره أبداً
وقل فلان جزاه الله صالحاً أفادنيها وألغ الكبر والحسداً

وقد تساهل جماعة من العلماء في نقل جملة من المسائل المهمة، ولم ينسبوا لمن نقلوها عنهم، ومنهم من نسبها لنفسه لمقاصد لا ينبغي أن نسيء الظن بسببها، إلا أنهم بذلك وقفوا موقف التهمة في انتحال كل ما دونوه، وقد استحق من وقف في هذا المقام عند العلماء الملام، ولقد وقع بين القسطلاني¹ والسيوطي تداع ومقال ونزاع، واتهم الثاني الأول بأنه يسرق من كتبه ويستمد منها، ولا ينسب النقل إليه، وادعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، فألزمه ببيان ما ادعاه، فقال: إنه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات، فليذكر لنا أنه ذكره في أي مؤلفاته، لنعلم أنه نقله عنه، ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله، وكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عنه، ثم إن القسطلاني قصد إزالة ما في خاطره، فمشى من القاهرة إلى الروضة، وكان السيوطي معترلاً عن الناس بها، فوصل إلى بابه، ودقه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا القسطلاني جئت إليك حافياً ليطيب خاطرك، فقال له: قد طاب، ولم يفتح الباب له، ذكره في كشف الظنون². وللسيوطي مقامة سماها: الفارق بين المصنف والسارق، قال في كشف

¹ - المراد به الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري، مؤلف كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، توفي سنة 923 هـ. أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 1: 232.

² - أنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة 2: 1897.

الظنون: ألفه في تأليف رجل استعار منه كتاب الخصائص¹، وساق الألفاظ في تأليفه بعبارته، وادعى أنه له، وهو من مقاماته²، قال الجلال فيها: وإنما ورطه في ذلك الجهل بآداب المصنفين، فإنه ليس من أهل هذا المنزل، بل هو عن هذا الفناء بمعزل، أما سمع الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله: تتاصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانتة في ماله. ولا بالأثر الوارد رضي الله عنه ناقله: بركة العلم عزوه إلى قائله، ولا رأى صنع المزني³ حيث قال في أول مختصره الذي كساه الله لخالصه إجلالا ونورا، وزاده في الآفاق سرا وظهورا، كتاب الطهارة، قال الشافعي: قال الله تعالى: وأنزلنا من السماء ماء طهورا⁴، فما كان المزني رءا هذه الآية في المصحف فينقلها منه بدون عزوه إلى إمامه، قال العلماء: إنما صنع ذلك لأن الافتتاح بها من نظام الشافعي لا من نظامه.

¹ - الخصائص النبوية للشيخ جلال الدين السيوطي، تقع في مجلد، ذكر المؤلف أنه تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف، وله عليها مختصر سماه أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب.

² - أنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة 2: 1215.

³ - أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب النصح في العلم 1: 360 رقم 605.

⁴ - سورة الفرقان الآية 48

وقال في المزهري¹، فصل: ومن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله، وقال في مقامة أخرى: وقد علم الله والناس من أمري في التأليف أن لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ونسبته إلى ناقله، أداء لشكر نعمته، وبراءة من دركه وعهدته، وقال سفيان الثوري: نسبة الفوائد لقائلها من التحدث بالعلم وشكره، وعكسه من جحдан العلم وكفره، وفي الحديث: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما²، قال السيوطي: يؤخذ منه أنه يجب على العالم أو المتعلم إذا استفاد مسألة من العلم أن يعزوها لصاحبها، وإلا فهو من الكتمان. إه..

تتميم

ذكرنا فيما سبق بعض ما يقنع المنتقدين، وإن كان المنتقد لا يميل للإنصاف مع المعتقد، لما يراه من كون ما صدر من بعض أفراد الطريق يواخذ به جميع السالكين على منهاجها القويم، وكان ما ظهر له ذنب لا يغفر في جنب من انتحل كتاباً أو قصيدة أو جواباً، ونحو ذلك مما وقع في نظيره من مؤلف جواهر المعاني، مع أنه رحمه الله معذور في ترتيب تأليفه المذكور ترتب المقصد الأحمد.

¹ - المزهري في علم اللغة لجلال الدين السيوطي. قال في كشف الظنون: وقد أجاد وابتكر في ترتيبه، واخترع في تنويجه وتبويبه، لم يسبق إليه غيره، وهو على خمسين نوعاً، ثمانية منها راجعة إلى اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر منها من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر أيضاً من حيث المعنى، وخمسة منها من حيث لطائفها، والثمانية الباقية منها راجعة إلى رجال اللغة ورواتها.

² - رواه الحافظ البخاري (كتاب البيوع) باب إذا بينَّ البيعان ولم يكتما ونصحا رقم 2055.

و قد تعرضت في ترجمته من كتابنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب بما يبرد الغلة، ويبرئ العلة، فلننقله هنا تتيماً للفائدة، فقلت، و على الله توكلت: إن مؤلف كتاب جواهر المعاني لما كان جمع بعض ما تلقاه عن سيدنا رضي الله عنه ثاقت نفسه إلى أن يكون مفروغا في قالب المؤلفات العالية النفس، فكان يعرض ما لديه من ذلك على أحبائه من العلماء الجلة، ليكونوا له عوناً على مقصوده.

وقد ذكر العلامة ابن المشري في كتابه الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم أن الشيخ رضي الله عنه لما أذنهم في كتب ما تلقوه عنه بعدما أمرهم بحرقه شرع أخونا السيد الحاج علي حرازم رحمه الله ورضي عنه في كتابة هذه النسخة المنسوبة إليه، مع ما هو فائض من بحار سيدنا رضي الله عنه التي لا ساحل لها، واستعان بنا في الإملاء عليه، وفي مناسبة ترتيب النسخة التي بيده، فوضع لها فصولاً وأبواباً بموافقتنا معاً¹.

وأمليت عليه نحو خمسة كراريس أو أكثر في القالب الكبير، ثم تفرد لكتابتها، وحده ورتب باقيها على ما ظهر له، فلما بلغ إلى آخر النسخة المنسوبة إليه وقع له السفر إلى الحرم الشريف الذي لم يرجع منه رحمة الله علينا وعليه، لآخر كلامه، فأخبر أنه استعان به في الإملاء عليه وفي مناسبة ترتيبه، وأملى عليه نحو خمسة كراريس، وهذه الكراريس بنفسها

¹ - أنظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة ابن المشري ص

هي التي أشار لها العلامة الشيخ أبو إسحاق سيدنا إبراهيم الرياحي التونسي¹ رحمه الله في كتابه المسمى مبرد الصوارم والأسنة، في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة²، وقال ما نصه:

وممن صحب الشيخ وانفع به المرحوم أبو الحسن علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، صاحب الأحوال العجيبة، عاشرته كثيرا، وشاهدت من اتباعه للسنة جما غفيرا، وهو الذي جمع التأليف المذكور فيه معارف

¹ - العلامة سيدي إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطرابلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن بلقاسم الرياحي التونسي، ولد بتستور بتونس عام 1180 هـ، وأخذ العلم والمعرفة عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس، منهم: حمزة الجباص، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا بتونس عن العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1216 هـ. وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشح للذهاب للمغرب وملاقة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أول عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه، حيث رحب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية، وللعلامة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقايد العلمية المفيدة منها: مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية، ومنظومة في علم النحو، وحاشية على الفاكهاني، وغير ذلك من المصنفات الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله في 27 رمضان عام 1266 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 132. وفي رفع النقاب، لنفس العلامة ج 1 ص 17. وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 264. وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 12. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 113. وفي نخبة الإتحاف، لنفس العلامة رقم الترجمة 297. وفي فتح الملك العلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 6. وفي شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 386 رقم الترجمة 1555. وفي الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس ج 1 ص 294. وفي الأعلام، للزركلي ج 1 ص 48. وفي اليواقيت الثمينة لظافر الأزهري ج 1 ص 89. وفي معجم المطبوعات لسركيس 1381.

² - مبرد الصوارم والأسنة، في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، للعلامة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي التونسي، ردَّ به على المدعو علي بن محمد الملي الجمالي، نزيل مصر، وهو كتاب قيم، يقع في جزء، أدرجه حفيد المؤلف العلامة سيدي عمر الرياحي في كتابه تعطير النواحي في ترجمة سيدي إبراهيم الرياحي.

الشيخ ومناقبه، وأظنه هو الذي وصل مصر، وليس جميع ما فيه عين اللفظ الصادر من الشيخ، ولكن غالب ما فيه مروى بالمعنى، إذ الشيخ لم يكتب ذلك بيده، ولا أن الناقل عنه محتاط كل الإحتياط في ضبط عين عبارته، ولكن إذا قال شيئاً نقله عنه إما صاحبه السيد محمد بن المشري والمرحوم المذكور، بحسب ما فهمناه عنه، نظرا إلى جواز الرواية بالمعنى، وفيه من الخلاف بين أهل العلم ما قد علم، ولهذا تجد الكلام المنقول عنه مضطرب اللفظ، وغير جار في بعض المواضع على القانون العربي، وقد كان المرحوم المذكور طلب مني أن أحرره له، فاعتذرت له بعدم الفراغ، وكل ذلك على أن تلك الألفاظ ليست أعيان الألفاظ الصادرة من الشيخ كما ادعاه من أشرب في قلبه حب الاعتراض على أهل الفضل، إلى آخر كلامه.

ولاشك أن صاحب الترجمة بعدما اجتمع بتونس بالعلامة الشيخ الرياحي المذكور ولم يجد منه فراغا لتحريره له وتتيحه وتهذيبه بقي رحمه الله متشوقا إلى من يقوم له بهذا الإقتراح، حتى استعان بمن رتبته له ترتيب العقد المنظم المنضد، بما طابق المقصد الأحمد، في سبك خطبته وأبوابه وفصوله، حتى جاء نزهة للناظرين، وقد تمت المناسبة فيه بتنزيل ما اشتمل عليه على أحوال سيدنا رضي الله عنه وانطباع الصفات الجليلة بتلك الألفاظ العذبة والعبارة الحلوة انطباع الصورة في المرءاة، ولم يقع في كلام الشيخ رضي الله عنه زيادة ولا نقصان في جميع رسائله وأجوبته

التي هي على حدتها مما لا يرتاب فيه مرتاب، وبمقابلة ذلك لم يدخل لأحد فيما قلناه أدنى ارتياب.

ذكر بعض ما مدح به كتاب جواهر المعاني ومؤلفه رحمه الله

لقد كان مؤلف جواهر المعاني الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة عند أحبائه بمكانة مكيئة من المحبة في الحضور والغيبة، وكل من اجتمع به يأخذ بقلبه وقالبه لما له من السمات الحسن وحسن الأخلاق الذي يستولي على القلوب، وكفانا أن أنقل هنا تنويها بشأنه ما كتبه مفتي الحاضرة التونسية، العلامة الذي اشتهر فضله في مشارق الأرض ومغاربها، الشيخ الإمام أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن عبد القادر الرياحي، حسبما نقلناه في كتابنا كشف الحجاب، عن نقله من خطه مباشرة.

وتعرض له حفيده أبو حفص¹ في كتابه تعطير النواحي²، ونصه: الحمد لله الذي من علينا بالإجماع مع شيخنا العالم الهمام، رأس العارفين بلا نزاع، وقطب الواصلين بلا دفاع، ولي الله الذي هو في مراقبة الله

¹ - المراد به العلامة الأديب عمر بن محمد بن علي بن الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي، أديب شاعر مؤرخ، من مؤلفاته كتاب تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي، يقع في جزئين، طبع بتونس عام 1320 هـ - 1902م، ولهذا الرجل علاقة وطيدة بالعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، وقد مدح كلُّ منهما الآخر بقصائد عديدة، أنظر ترجمته في تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمود بوزينة 403. معجم المؤلفين، لكحالة 7: 314. معجم المطبوعات، لسركيس 1386. إيضاح المكنون، للبغدادى 1: 298.

² - تعطير النواحي في ترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، للعلامة سيدي عمر الرياحي، تحدث فيه بإسهاب عن ترجمة جده المذكور، فاستعرض جملة من علومه وتقابيده ورسائله وقصائده وفتاويه، كما ساق فيه تعريفاً شاملاً بشيوخه ومراحل تعليمه، ونسبه، وظروف ولادته ووفاته، وما قيل فيه من قصائد الرثاء.

وعبادته ومعرفته، حازم مولانا ووسيلتنا إلى الله وعمدتنا لديه، سيدي علي حرازم، أبقى الله نوره لائح الأسرار، وسره المشهور ساطع الأنوار، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، إلى أن قال بعد أن ذكر أنه أخذ عنه الطريقة، وسبب معرفته به ما نصه: ولما اشتد به وجدي، ولم يطق إخفاء شوقي ومحبتي به جهدي، أنشدت في مديحه ببركته إنشاد الهائم، وأنشأت له قصيدة مطرزة ببعض شمائله ولم أخف فيه لومة لائم، فقلت، وعلى فيض سره عولت:

كرم الزمان ولم يكن بكريم	وصفا فكان على الصفاء نديمي
وأفاض من نعم علي سوابغا	لله يشكرها فمي وصميمي
عظمت على الشعر البليغ وربما	عجز الثناء عن الوفا بعظيم
وأجلها نظري إلى ابن حرازم	وتمتعي من وجهه بنعيم
وتلذذي من خلقه بمحاسن	وتمتعي من خلقه بنسيم
وتعرفي من عرفه بعوارف	ومعارف ولطائف وفهوم
وتعززي بتذلي لجماله	وتشرفي من نعله المخدم
ذاك الذي حملت خزائن سره	مالو بدا لارتاب كل حلیم
وهو الذي منح المعارف فارتقى	منها لأرفع سرها المكتوم
وهو الذي نال الرضى من ربه	وبنيله إن شاء غير ملوم
وهو الذي أذن الرسول بوصله	وأمدته من عنده بعلوم
وهو الذي التجاني أودع سره	فيه وخص مقامه بعموم
وهو الذي وهو الذي وهو الذي	وهو الذي معناه غير مروم

هم الورى تسعى بكل سليم
فهي الغداء لراحل ومقيم
حتى عرفتك فاستبت رجومي
وأسير خلفي والشقاء نديمي
ومؤملي عند التهاب سمومي
وطغت علي وساوسي وهمومي
فخيار أهل الله خير رحيم
من مسعد مجلى الهموم زعيم
فتكرمت باللؤلؤ المنظوم
وقد اصطلت وتكلمت بكوم
أصل عظيم الشأن غير هضم
وجدوا سوى شوق إليك أليم
بمجرد الأشواق غير رميم
يسعى إليك وأنت خير كريم
وتوسلي بعلاك غير خصيم
أصبحت من معناه غير عديم
يا منجدي يا مؤملي وحميمي
وحباك من فضل عليك عميم
ولي الهناء بأن تقول خديمي

عظمت لديه مواهب أضحت لها
وسعت محبته إلى أرواحهم
يا سيدي ولكم دعوت لسيد
وعلمت أني كنت أرقم في الهوى
يا مؤملي وكفى بفضلك مؤملاً
هل أنت كاشف كربتي فلقد سطت
ها أنت راحم شقوتي فتريحني
هل منقذ من قد تحير لم يجد
فارحم دموعا قد رأتك عيونها
وجوانحا جعلتك في سودائها
وجوارحا ضرعت إليك يقودها
وسرائراً لو أنها بليت لما
ومتيمالولا التذكر لم يكن
لا تقطن أمني وقد وجهته
وقد اتخذتك في الأنام وسيلة
ورجوت من ربي بفضلك ما أنا
يا مسندي يا مقصدي يا سيدي
أنت الذي ربي اصطفاك لسره
فلك الهناء فأنت سلطان الورى

ورسوله أولاك ما اعترفت به لك أهل سر الله بالتقديم
فسلام ربك كلما هبت صبا يغشاك طيب مزاجه المختوم

ثم قال رحمه الله تعالى: فلما أنشدتها بين يديه وقد اعتراه من الحال
ما لا يذكر، وأسبل من الدمع ما هو من الواابل أغزر، قال: هلم بمحبرة
وقرطاس، ودفع بخطه المشرق والناس جلاس ما نصه: يقول لك سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عني خيرا، وعن نفسك خيرا،
ولك مني المحبوبة التامة، ومن الله جل جلاله، واتصل حبلك بعروة لا
انفصام لها، ولك من الله ومني الرضا التام، ولك بذلك معارف وأسرار
وسرور، والسلام عليك ورحمة الله انتهى.

ثم قال صاحب القصيدة: فأنظر رحمك الله هذه النعمة ما أكبرها،
وتأمل بفكرك هاته العظمة ما أكثرها، فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظيم
سلطانه، وله الشكر على ما أسدى من جزيل نواله وجليل إحسانه، فهذا هو
الكرم، وهكذا يكون الجود، أبيات من الشعر في عصر كساده تستحق
التسليم من أفضل الخلق والرضى التام والمحبوبة من الله تعالى ومن
رسوله لقائلها، وذلك أمر دون نليه خرط القتاد، وتفتت الأكباد، وتذوب
الأجساد، ولا مطمع فيه ببذل الأموال والأولاد، لولا فضل الله الواسع
وكرمه الذاتي، الذي ليس عليه مانع. إهـ..

و قد ذكرت في كشف الحجاب قصيدة للأديب السيد الطاهر السوسي¹
رحمه الله مدح بها هذا الكتاب، ونقلنا في رفع النقاب تخميسها من نظم
الفاضل السيد محمد الحافظ بن محمد عال الشنجيطي، ولا بأس بنقل ذلك
هنا ونص الجميع:

خليلي دع قول الحسود المكابر وطالع بإنصاف كتاب المآثر
وقل للذي يبغي بقبس الذخائر (أصاح إذا رمت المفاز فبادر
لفهم الذي يملي كتاب الجواهر)

¹ - العلامة الأديب الشهير سيدي الطاهر بن محمد بن إبراهيم الإفرائي التمانرتي. من ذرية
الولي الصالح سيدي محمد بن إبراهيم. دفين تمانرت ببلاد سوس. ونسب هذا الأخير ثابت
معروف. ينتهي للصحابي الجليل الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو من مواليد
عام 1270 هـ-1853م بأنتكرت. من وادي يفرن. حفظ القرآن الكريم في سن مبكر من عمره.
ثم اشتغل بطلب العلم. فأخذ عن جماعة وافرة من علماء وقته. كمحمد بن عبد الله بن صالح
الألغي. وأخيه علي بن عبد الله الألغي. وأحمد الجيشتيمي التملي وآخرين.
وهو أحد أكابر أعلام الطريقة التجانية بسوس. أخذها على يد المقدم الجليل محمد الوليتي
الروداني. ثم عن العارف العلامة الشهير الحاج الحسين الإفرائي. والولي الصالح البركة
سيدي محمد أوتلضي. والعارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. ومن مؤلفاته: نظم على الحكم
العطائية. ونظم لجزء من مختصر خليل. وديوان شعري مرتب على الحروف الهجائية، في
مجلدين. ونظم في رسالة العضد. ووسيلة الجاني إلى القطب التجاني. إلى غير ذلك من
التقايد والأجوبة والأشعار الكثيرة. وكانت له بالعلامة سكيرج صداقة ومحبة قوية. والدليل
على ذلك وفرة ما مدحه به من قصائد. فقد وقفت على ما يفوق العشرة منها. وهي في غاية
الجودة والإتقان.

توفي في آخر شهر رمضان المعظم عام 1374 هـ- شهر ماي 1955م. بعدما تجاوز عمره
القرن بأربع سنوات. أنظر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج ص 40. وفي
المعسول، للمختار السوسي 7: 69-237. وفي سوس العالمية، لنفس المؤلف 209. وفي
كتابنا: حديقة المنى والأمانى في ذكر بعض أخبار سيدي العربي العلمي اللحياني ص 16.
وفي كتابنا: خلاصة المسك الفائح بترجمة سيدي محمد العربي بن السائح. وفي الأعلام،
للزركلي 3: 223. وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى، للقباج 1: 19-30. وفي
موسوعة أعلام المغرب، لحجي 9: 3300.

فمن منبع الأسرار كان صدوره فطوبى لمن قد خامرته خموره
فذاق معاني ما حوته سطوره (كتاب بدا في مطلع السعد نوره

فأرشد أرباب النهى والبصائر)

تبدى وليل الجهل جن بهيمه فهدى إلى نهج الهدى من يشيمه
وهاج من الشوق الدفين قديمه (وفتح أكمام القلوب نسيمه

فطاب بعرف من شذا الشوق عاطر)

حوى ما حوى من غامضات الحقائق ومن جوهر من نافع العلم رائق
فحرك تلقا بابيه كل صادق (وهز إلى نحو الحمى كل عاشق

كما اهتز مشمول بتغريد طائر)

تأمل وحاذر وعده ووعيده وجانب حماه الدهر وارع عهوده
فكم قاد للخيرات يوما سعيده (ودل على نهج الوصول مريده

فمن مدلج سار وآخر سائر)

ورد ورده يشفي الغليل زلاله وعاشره فهو الخل طابت خلاله
يدل على المولى العلي مقاله (وضم من العلم العزيز مناله

ومن كل سر كل زاه وزاهر)

فلله ما من غامض كان أظهرها فما العلم إلا الصيد فهو له الفرا
ومن فيضه روض المعارف أزهرها (حقائق علم بثها الشيخ لا أرى

لعزتها تشبيهها بالنظائر)

تحلى بها يا حسنها نحر سيرها وباع بها حلو الحياة بمرها
فطوبى لمن قد نال من بحر سرها (معارف لم تخطر نفائس درها

لكل فتى العرفان يوما بخاطر)

كتاب له للسالكين مسالك توصلهم لم تخش فيها المهالك

به ضاء ليل للجهالة حالك (كتاب كريم مستنار مبارك

يمد بهام من ندا السر هامر)

فبادر جناه كي تنال اقتطافه وطب من شذا لبناه واشرب سلافه

علا دره حقا فحاذر خلافه (كفاه على أن النبي أضافه

إلى نفسه رغما لأنف المكابر)

وحض عليه أمرا بالتئامه عليه من المولى أعز سلامه

جواهر علم رصعت من كلامه (جزى الله من أبدى جميل نظامه

بروح وريحان من الخاد وافر)

لقد طاب في الآفاق ذكر جلاله فلم تأت أقلامي ببعض خصاله

وليت جبيني موطن لنعاله (وصلى على روح الوجود وآله

وأصحابه أهل النهى والمآثر)

إله الورى ما اشتاق عذب وصاله محب ولو وصلا لطيف خياله

فهاز بحظ وافر من نواله (وسلم تسليما بقدر كماله

على شيخنا قطب الهدى والمفاخر

وقلت في جنبه مخاطبا لحضرة الشيخ رضي الله عنه:

صفوا الحبيبي ما ألقىه في الهوى فإن فؤادي كاد يفنى من الجوى

عساه عساه أن يجود بعطفة ويقصر ما قدمه بيد النوى

ولم يلتفت بعد الغرام إلى السوى
حليف سقام ليس يلقي له دوا
وأشواقه نزاعة منه للمشوى
فإن له قلبا بنار الجوى انكوى
شفيع لما يبغيه منك من الدوا
ونال مقاما ليس يبلغه السوى
بما منك من سر المحبة قد حوى
وفينا على عرش المعالي بها استوى
وفي مجمع الأقطاب في يده اللوا
ومن حوضك المورود حقا قد ارتوى
ولكن على سر العلوم قد احتوى
وفي صدره العلم اللدني قد انطوى
فخذ بيدي إني سقطت من الهوى
ويشمل من في منهج الحق قد ثوى

وقولوا له لا زال للعهد راعيا
وما خان عهدا لا ولا خان موثقا
يورقه تذكاره طول ليله
حنانيك فاكشف عنه بالوصل رانه
وليس له إلا الرضى ابن حرازم
خليفتك العظمى الذي جل قدره
إذا ذكر الكمال كان مقدما
بفضلك قد ألبسته حلة الرضى
فصار بصدر المكرمات مصدرا
وغديته ألبان سر وحكمة
هو الكنز إلا أن فيه عجائبا
فمن بحر در المعارف يقتنى
وإني به أدعوك يا خير منقذ
عليك سلام يعبق الكون عرفه

وقلت فيها هذه الأبيات:

جواهر المعاني * تاهت بها الغواني * على المحب العاني *

في حضرات القدس

قد أكسبت سكره * ما اعتادها من خمره * في حضرة المسره

ولا بوقت أنس

فزاد فيها وحده * وصح منها رشده * وجل فيها حمده

* شكرا بطيب نفس *

كم أوضحت من فن * عن غيرها لا يغنى * مع ما بها من حسن

* قد فاق حسن الشمس *

وكم شفت من عله * وكشفت من وحله * بباهر الأدله

* بالحق لا بالحدس *

وكم أتت بحجه * لسالك المحجه * بحسن صدق لهجه

* تذهب كل لبس *

بها انجلت غيون * وقرت العيون * وسرها مصون

* عن كل قال نحس *

فالله قد شرفها * وبالجلال حفها * ففاز من ألفها

* بحضرات الأنس *

وهو الرضى حرازم * من في الطريق حازم * يرشد بالمكارم

* لجنة الفردوس *

خليفة التجاني * مناوول الأمانى * لطالبي الأمانى

* من جنة وإنس *

مريده مراد * تم له المراد * وهو الذي الأسياد

تعنوا له بالرأس

وقلت في ترجمة الخليفة المذكور في جنة الجاني:

ومنهم الرضى علي حرازم
أقامه سيدنا مقامه
فهو الخليفة على الحقيقه
وكان يدعى عنده خليفه
وحين حل بمقام الفتح
وكان في منامه واليقظه
يحببه محبة الأولاد
وكم له من مشهد عظيم
له التصرف بالإسم الأعظم
أبدى لنا جواهر المعاني
وكنزه المطلسم العجيب
وشرحه العجيب للهمزية
وكم سقانا سره المختوما
وقد تلاقى مع شمهروش
عنه تلقى سر حزب اليمني
وحاز من سيدنا إدريسا
وموته تاريخه في الأمه
من هو في نهج الرشاد حازم
فلم ينل منه سوى مقامه
عن شيخنا في هذه الطريقه
حين ارتقى بالرتبة المنيفه
سافر بالإذن لنيل الربح
يرى النبي ويود لحظه
ومنه نال غاية المراد
ومن مقام في العلا مقيم
وفي التوكل أجل قدم
في ضمنه مواهب المنان
صنيعه بين الورى غريب
دل على ما فيه من مزية
أودعها كناشه المكتوما
وعنه يروي هازم الجيوش
بإذنه المطلق طول الزمن
كمال أسماء حوت تقديسا
رحلته لنيل بر رحمه

رجوع لتمام الإفادة ببقية التعريف بالخليفة السيد الحاج علي حرازم

برادة رحمه الله

قد اشتهر أصلهم بأولاد برادة بمدينة فاس، ولم يثبت عندي شيء في تحقيق معنى هذه النسبة، وكل من أخبرني عن سبب اشتهارهم يعول في ذلك على التخمين، وعلى كل حال فبيتهم بفاس بيت فضل وعلم وتجارة وأمانة، وقد وقفت على إجازة كبيرة القدر مكتوبة لجد صاحب الترجمة الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن محمد برادة¹ في رق غزال مؤرخة في سادس ذي الحجة متم ثلاث ومائة وألف من الذخائر الثمينة عند امرأة صالحة من حفدته، عليها خطوط جماعة من العلماء الجلة، وهي طويلة الذيل، ربما تسع كراسة إن استخرجت من هذا الرق.

وقد اشتملت على التنويه بالعلم وفضل القرآن وحملته في السر والإعلان، وذكر السند المتصل إلى سيد الوجود من طرق مختلفة، مصدره بخط المجيز الأستاذ الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الرايس² رحمه الله، أشهد على نفسه بالإجازة له، فلننقل هنا منها بعض ما

¹ - محمد بن محمد برادة جد العلامة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة (والد والده) كان أستاذاً ماهراً في علم القراءات، شهد له بالريادة في هذا الفن جماعة من كبار المقرئين بفاس، كانت له مشاركة في علوم عديدة أخرى كالفقه والحديث والسيرة والفرائض وغيرها، توفي بموطنه بفاس عام 1159 هـ.

² - عبد الرحمان بن محمد المدعو الرايس الفاسي، أستاذ مجود مقرئ، من حفاظ القراءات السبع، كان يدرس الطلبة بمدرسة العطارين، ويقرؤهم القرآن بالروايات، كما كان يدرس أيضاً الشاطبية والألفية والرسالة وما إلى ذلك من المقررات الأخرى، وكان يؤم بمسجد القفاصين من عدوة فاس القرويين، توفي عام 1109 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1844-1845).

سمحت لنا به الظروف مما لم يدخله تلاش فيها، ونص ذلك مباشرة من
خط العلماء المذكورين:

الحمد لله كما يجب لجلاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى
آله، وبعد فيقول أفقر الورى إلى ربه، الخائف من سوء كسبه، عبد
الرحمان بن محمد الرايس، إني أجزت الطالب المجيب، المجود الأريب،
أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد برادة في القراءات السبع، إجازة تامة
مطلقة، فنطلب من ساداتنا الشرفاء الكرام ومن أئمة العلماء الأعلام أن
يشهدوا علي وعلى المجاز بوضع خطوطهم، مسلما عليهم وملتصا منهم
الدعاء الصالح، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما، عبد ربه تعالى أحمد بن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر كان
الله له. ومحمد بن علي مروان¹ لطف الله به ورحمه آمين. أحمد بن عبد
الهادي بن طاهر الحسني لطف الله به، وأحمد بن عبد القادر الحسني
القادري² كان الله له.

¹ - محمد بن علي مروان الأندلسي، فقيه أستاذ، له شهرة في علم القراءات وتجويد القرآن،
توفي بفاس عام 1106 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب
5: 1831)

² - أحمد بن عبد القادر القادري الحسني، فقيه مؤرخ صوفي، توفي بفاس يوم الإثنين 19
جمادى الأولى عام 1133 هـ، ودفن خارج باب الفتوح، قرب مصلى العيد بالجنان الموقوف
لدفن أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن، أنظر ترجمته في نشر
المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1969-1972).

أحوج الخلق إلى مغفرة مولاه، إدريس بن علي بن إدريس، القاطن بدار القيطون¹، كان الله له ورحمه أمين. وعبد ربه الأعلى عبد العزيز بن علي الطاهري الحسني غفر الله له ولوالديه. وعبد الواحد بن محمد بن محمد الشريف البوعناني² وفقه الله بمنه تعالى ورحمه. وعبد ربه الأعلى محمد بن عبد العزيز الطاهري الحسني الجوطي وفقه الله بمنه. وعلي بن أحمد بن جارية القصري أصلح الله حاله بمنه ويمنه، وعبد الله تعالى الفقير لرحمته عبد السلام بن الطيب القادري الحسني³ رحمه الله. أحمد بن محمد العربي بن الحاج⁴ كان الله له. عبد ربه وأسير ذنبه محمد الصغير بن الحسن العلمي تاب الله عليه أمين. ومحمد بن محمد الكوهن لطف الله به. وعبد القادر بن علي السقاط كان الله له بمنه أمين. وعبد ربه عبد الكريم بن أحمد الشريف العراقي الحسيني كان الله له أمين.

¹ - إدريس بن علي المدعو ابن إدريس العمراني الجوطي الحسني، توفي بالرمد سنة 1105 هـ، ودفن بحانوت بظهر الحائط الشرقي من مسجد الشرفاء بفاس، ثم أدخلت هذه الحانوت في مسجد الشرفاء عند توسيعه زمن السلطان المولى إسماعيل، وجعلت مزاراة لضريح المولى إدريس من ناحية الطريق المجاورة لشرق قبته، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1830)

² - عبد الواحد بن محمد أبو عنان، فقيه مدرس خطيب مفتي، توفي بفاس بتاريخ 18 صفر عام 1106 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1831)

³ - سبق التعريف به ضمن ص 122

⁴ - أحمد بن العربي ابن الحاج، فقيه مدرس قاض، من أعلام مدينة فاس، توفي عام 1109 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1844)

وأحمد بن علي الجرندي¹ كان الله له. ومحمد بن عبد القادر الفاسي² كان الله له أمين. ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر³ كان الله له. ومحمد الطيب بن محمد الفاسي⁴ كان الله له بمنه ورحمه أمين. إدريس بن محمد العراقي الحسني⁵ لطف الله به. وهناك خطوط أخرى وأشكال علامات لم أقرأها لتلاشيها بطي الرق المذكور وتمزيقه، فالمجاز المذكور من أجداد هذا الخليفة المكرم رحمه الله.

¹ - أحمد بن علي الجرندي الأندلسي الفاسي، فقيه مدرس، من أعلام مدينة فاس، كان إماماً بمسجد الشرفاء، وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن، وبه سلك وانتفع، توفي بعد العشاء يوم الجمعة 11 محرم عام 1125 هـ، ودفن بجوار ضريح سيدي أبي غالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح بفاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1946)

² - محمد بن عبد القادر الفاسي، فقيه مدرس، من أشهر علماء مدينة فاس، له مؤلفات كثيرة، توفي بتاريخ 28 رجب عام 1116 هـ، ودفن عن يسار المحراب بزواوية عم جده سيدي عبد الرحمان الفاسي الكائنة بحومة القلقلين من مدينة فاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1899-1901)

³ - محمد بن عبد الرحمان الفاسي، فقيه مؤرخ مدرس صوفي، من أعلام مدينة فاس، توفي بتاريخ 5 جمادى الثانية عام 1134 هـ، ودفن مع والده وجدته بزواويتهم بحومة القلقلين بفاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1974-1977)

⁴ - محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي، فقيه مدرس فاضل، من أعلام مدينة فاس، توفي عام 1113 هـ، ودفن بجانب قبر جده سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1892)

⁵ - إدريس بن محمد العراقي الحسيني، فقيه فاضل، من أعلام مدينة فاس، توفي يوم الجمعة 7 صفر عام 1150 هـ، ودفن بروضة سيدي أحمد الشاوي بحومة الجرف من فاس القرويين، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 2079-2080)

إعلام للإخوان بأن نسل الخليفة لهم في الطريقة التجانية كبير
اعتناء و خدمة صادقة في هذا الجنب الأحمدي و محبة الشيخ رضي الله
عنه لهم

إعلم أن لسيدنا القطب التجاني رضي الله عنه نظرة خصوصية ينظر
بها أولاد الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة منذ سفره من الحضرة
الفاسية، وقد ترجمت في كشف الحجاب ورفع النقاب لولده البركة المقدم
سيدي بوعزة برادة، وسيدي عبد الواحد برادة، ولغيرهما من هذه العائلة،
وترجمت لمن عرفت اتصاله من بني أعمامهم الذين أخذوا عن سيدنا
رضي الله عنه مشافهة، ولا بأس بالإلمام بشيء يسير مما ذكرناه هناك
تتميماً للفائدة، وتبركا بذكر أسمائهم، فعند ذكر أهل النسبة تنتزل الرحمات
أسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تنتزل الرحمات

الإمام بطرق من ترجمة المقدم سيدي بو عزة¹ بن الخليفة سيدي

الحاج علي حرازم برادة

قد اشتهر بين الإخوان ما للمقدم البركة سيدي بو عزة المذكور من تقدمه على غيره من أقرانه من المقدمين في هذه الطريقة التجانية، وأنه من ذوي الخصوصية فيها الملحوظين عند الشيخ رضي الله عنه قيد حياته بعين الاعتبار، وعند أصحابه بعده بعيون التجلة والاحترام.

وقد تلقى التقديم في هذه الطريقة عن جماعة من فحول المقدمين فيها، بعد أن تلقى الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه مشافهة، ورشحه لتلقين الأذكار بعد أن لقنه بجملة منها مما لقن به الخاصة من أصحابه، ولكنه لم يتصدر لذلك في ذلك الوقت حتى أجازه بذلك من أجازه، منهم المقدم

¹ - أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 218-219. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 1: 226، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، 27 و 78. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب. للمؤلف نفسه 13-17 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف، في ذكر من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف. للعلامة الحجوجي 20-21. رقم الترجمة 2. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 93. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين لمحمد بن أبي بكر الأزاريقي 117. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 19. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 291. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 332. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 109. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 10. تضيض ظاهر و باطن الأواني بتكميل كتاب نيل الأمان، للمؤلف نفسه 2: 388 و 507.

الشهير أبو عبد الله سيدي محمد الغالي بوطالب¹، فقد وقفت على خط يده بالإجازة له، وشهادة المقدم الكبير سيدي الطيب السفياي عليه بذلك. كما كتب الخليفة بالسماع عنه بذلك سيدي الحاج محمد الكبير لحو، ونحن ننقل ذلك هنا من خطهم مباشرة، حفظا لذلك هنا، فإنه قال ما نصه: الحمد لله

¹ - سيدي محمد الغالي بوطالب، أحد أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، توفي بمكة المكرمة سنة 1244 هـ، ودفن بجانب مرقد أم المؤمنين مولانا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 262-268. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 110 (مخطوط خاص). الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 59 و62 (مخطوط خاص). تطيب النفوس، بما كتبت من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه 214 (مخطوط خاص). نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 8. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة إلى سيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال. للمؤلف نفسه 15- 18 (مخطوط خاص). لوامع أنوار، وفيوض أسرار، للمؤلف نفسه 24. جلاء القلب الحزين العاني، في التمسك بالعهد الأحمدية التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). شفاء القلب الكئيب، في مخاطبة الحبيب، للمؤلف نفسه (مخطوط). سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 9. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 5. بغية المستفيد لشرح منية المرید، لسيدي محمد العربي بن السائح 259-260. الرماح، لعلامة سيدي عمر الفوتي، في مواضع متفرقة منه، غاية الأمان، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 36 رقم الترجمة 17. ضالة الأديب، لسيدي عبد الله بن محمد الصغير ابن أنبوجه العلوي، بتحقيق المرحوم أحمد ولد الحسن 149. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 303. أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريقي 117. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 122. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 19. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13. الورود العاطرة للنشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 138. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأمان للمؤلف نفسه 2: 261. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 1-6، رفع العتاب، عن ترك الزيارة من الأصحاب، للعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون 23. الفتح الرباني، فيما يحتاج إليه المرید التجاني، للتصفاوي 65. الترغيب والترهيب، لسيدي العربي العلمي 38. التجانية والمستقبل، للفتاح نور 147.

وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً طلب من كاتبه عفا الله تعالى عنه وغفر ذنبه وهو محمد الغالي بوطالب التجاني الحسني فقال: حبا وكرما، فقد أذنت محبنا البركة أخانا سيدي بوعزة، ولد الخليفة الحبيب الأجل، العارف بالله الأكمل، سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي رحمه الله ورضي عنه، أن يلقن ورد سيدنا القطب المكتوم، مولانا أحمد بن محمد التجاني لمن طلبه منه، مع شروطه الأربعة، عدم الزيارة، والورد صباحا ومساء، والوظيفة، وذكر يوم الجمعة، والله تعالى يجعل الفتح لعباده على يديه بفضلته وكرمه، وكتبه في عشية يوم الأحد 17 من جمادى الثانية عام 1280 هـ رزقنا الله خيرته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ونص المطوق به أعلاه: الحمد لله، يشهد كاتبه على نفسه أنه سمع من الشريف سيدي الغالي بو طالب المجيز أسفله أنه أذن لمجازه سيدي أبي يعزى ولد سيدي الحاج علي حرازم أن يقدم أربعة مقدمين، كل واحد يقدم أربعة مقدمين لا زائد، وذلك كله أذن فيه سيدنا الشيخ رضي الله عنه لسيدي الغالي المذكور، سمعنا ذلك كله من سيدي الغالي، وتحققناه، وكتب عبد ربه سبحانه الطيب بن محمد الحسني الشهير بالسفياني، وكذلك سمع منه عبد ربه محمد الكبير لحو كما سمع الشريف سيدي الطيب حرفا بحرف، قال ذلك وتقلده. إه..

فمن نظر نص لفظ الإجازة التي كتبها بخط يده سيدي محمد الغالي رأى فيها التنصيص منه على التلقين للورد فقط دون تقديمه للغير، ومن

نظر إلى شهادة سيدي الطيب المذكور ومن معه رأى فيها الإذن له بالتقديم في العدد المذكور، وقد عمل على ذلك صاحب الترجمة، فقدم بعض ذلك العدد، ووصلنا حظ منه بإجازة شيخنا القاضي العدل سيدي حميد بناني¹، عن المقدم سيدي علال الفاسي²، عن صاحب الترجمة، وهذا النوع هو المعروف بالتقديم المقيد، ولصاحب الترجمة التقديم المطلق من غير سيدي الغالي المذكور، وهو أن يقدم من شاء بما شاء من أذكار هذه الطريقة، وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا المحل، وقد كنت عقدت سندي في التقديم لتلقي الطريقة التجانية من إجازته الواصلة إلينا فقلت:

أخذت الطريقة عن سادة	على غيرهم في العلا قدموا
وقدمني في الطريق رجال	هم في البرية قد عظموا
ولي سند في علاها علا	وأعلاه عندي هو الأعظم
وأذكر لي هاهنا سندا	به للعلا انتصب السلم
به قد ترقى مجيزي حميد	إلى منصب قدره أفخم
عن الحبر علال المرتضى	فأكرم به سيديا يكرم

¹ - أنظر التعريف به ضمن ص 192 من هذا الكتاب.

² - علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، فقيه خطيب مدرس، من أعلام الطريقة التجانية بمدينة فاس، وهو من ذرية العلامة العارف بربه سيدي عبد القادر الفاسي، توفي عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314 هـ، ودفن خارج باب الفتوح، بقبة مجاورة لقبة الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 219. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للفقهاء الحوجي رقم الترجمة 66. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 151. الأعلام، للزركلي 4: 246. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 302.

زم وهو بوعزة الأكرم
عن الشيخ من فضله يعلم

عن المرتضى ابن علي حرا
عن المرتضى وهو بوطالب

وقلت في ترجمته من نظمنا المسمى بجنة الجاني :

نجل الخليفة الذي قد عزا
قد رفع الله بها مكانه
قدم صدق أخلصت عمله
في الحب والود برغم حاسده
لديه في أصحابه مع اختيار
مارام في الصحراء بالتصرف
أتى بها وفق الذي قد أم له
فكان في أحواله محمودا
مع ضمان المصطفى للفتح له
وزاده من سره إمدادا
قدمه محمد بناني
في الإذن مثل ما به تحققا
يرويه بالإطلاق في طريقته
مقيدا فزادها تنويها
عن شيخنا الختم التجاني في العلي
منه بإذنه كمال المطالب

ومنهم بدر الدجى بوعزا
قد كان عند الشيخ في مكانه
فكان في محبة الشيخ له
أقامه الشيخ مقام والده
وكان ملحوظا بعين الإعتبار
وكان من جملة رسل الشيخ في
فكان في الأوطار مهما أرسله
يبذل في مرضاته المجهودا
فضمن الشيخ له ما أمله
ولقن الشيخ له الأوراد
وبعد موت شيخنا التجاني
نزىل مصر وله قد أطلقا
وهم عن الشيخ وعن خليفته
وقد روى التقديم أيضا فيها
عن شيخه القطب التماسني علي
بإذن مولانا الحبيب فحبي

وذلك حين طلب التقديما
وكان قبل ذلك قد رواه
فنوه ابن شيخنا الحبيب به
فكان يأذن كما أذن له
وقد تخرج علي يديه
تقدموا في هذه الطريقة
ولي إليه سند متصل
عن شيخنا بركة الزمان
عن شيخه الفاسي الرضى
والله أرجو أن أرى مؤيدا
من الحبيب زاده تفخيما
عن سيدي الغالي الذي ارتضاه
وذلك من كمال حسن أدبه
لمن غدا مؤهلا إن أم له
جماعة فازوا بما لديه
على سواهم من ذوي الحقيقه
به إلى الشيخ كما سأنقل
حميد القاضي الرضى بناني
علال عنه بنوعيه فلا إعلال
في مطلق وفي الذي قد قيذا

الإمام بطرف من ترجمة

ولد الخليفة سيدي عبد الواحد برادة¹

تربى هذا السيد بين أولاد الشيخ رضى عنه في داره، حتى كان من لا يعرف أولاد الشيخ رضى الله عنه يظن أنه منهم، لاعتناء سيدنا رضى الله عنه به في حال صغره لترك الخليفة له في كفالة الشيخ قدس سره، وهو أصغر أولاده الذكور، وأمه من أولاد ابن زكري² وقد كان سيدنا رضى

¹ - أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 223-224. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 69. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 99 رقم 3. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 3.

² - ابن زكري، أسرة أندلسية، هاجرت إلى فاس وتطوان وتلمسان قبل سقوط غرناطة، أنظر زهر الأس في بيوتات أهل فاس، للكتاني 1: 470. معلمة المغرب 14: 4683.

الله عنه مهتما بشؤون أهل دار الخليفة المذكور، حتى أنه أجرى عليهم النفقة من عندياته إلى أن توفي رضي الله عنه.

وقد تبعه على ذلك أنجاله الكرام، فنفدوا لنسل الخليفة المذكور نصيباً من مدخول الزاوية الفاسية، ولازال ذلك إلى الآن، وكان صاحب الترجمة على قدم صادقة في الأخذ بالحزم في القيام على ساق الجد في هذه الطريقة، معروفاً عند جلة الإخوان بالصدق والفتح، حتى توفي رحمه الله وهو ملحوظ عند الجميع بعين الرضى، وعقدت ترجمته في جنة الجاني بقولي:

ومنهم الأجل عبد الواحد	نجل الخليفة أخي المشاهد
حباه شيخنا بما حباه	من بعدما في حجره رباه
تظنه من حسب وأدب	من ولد الشيخ من التقرب
ألفه أولاده وأهله	فجل بين الأولياء فضله
ولم تكن ألفته بغيرهم	بما تعود لهم من خيرهم
وهذه منقبة قد بان	من شيخنا لغيره ما كانت

الإمام بطرف من ترجمة السيد الحاج أحمد

بن الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة¹

قد وقفت على رسالة بخط الخليفة سيدي الحاج علي حرازم كتبها من الحاضرة من تونس إلى أولاده يشرح لهم فيها أحواله و ما أصابه من التقلبات في مقامه وارتحاله، قال في صدرها بعد البسمة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خطه نقلت مباشرة: من عبد الله سبحانه علي حرازم بن العربي برادة آمنه الله بمنه، إلى أولادنا وأعز الناس لدينا، وثمره فؤادنا أحمد وبوعزة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فنسأل الله لكم خير الدارين الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونعيذكم مما استعاذ منه صلى الله عليه وسلم، ويفيض عليكم بحور رضاه في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم أخبرهما بأنه بعدما اكرى في المركب في القاهرة مع رفيقه ابن عبد الرحمان، تأخر عن السفر لما أصابه من المرض الذي ألزمه التأخر إلى مركب آخر، خشية أن يلقي بنفسه للتهلكة بالسفر الذي لا طاقة له على تحمله مع الحاصل له، إلى أن يفرج الله عنه بالموت، أو بالشفاء وأن الناس بتونس قد انكبوا عليه بالأخذ للطريقة والتبرك، مع أنه في غاية الضعف والمرض، ثم استوصى بجميع أولاده وأهله خيراً.

¹ - أحمد برادة، أكبر أبناء الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، كان رجلاً متواضعاً هيناً ليناً، متشبهاً بآثار والده، أخذاً بأهذاب الطريقة التجانية، يُعدُّ من جلة رجالاتها بالعاصمة العلمية فاس، غير أنه لم يعمر طويلاً بعد وفاة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. توفي بفاس دون سن الستين من عمره، ومعلوماتنا حوله ضئيلة لا تتعدى ثلاثة أسطر.

ثم جعل عنوان هذه الرسالة الموجهة إلى أولاده، هكذا بيد أخينا الحاج مسعود برادة بالعطارين بفاس، أمنها الله أمين، بيد ولدنا الحاج أحمد برادة بدرب الطويل بفاس أمنها الله. إه.. ولم يبلغني عن صاحب هذه الترجمة إلى الآن سوى أنه من أحباب الشيخ رضي الله عنه الآخذين لطريقته مشافهة، مقتديا بوالده في خدمة جنابه رحم الله الجميع.

الإمام بطرف من ترجمة السيد الحاج مسعود¹ أخي الخليفة سيدي

الحاج علي

ترجمنا له في كشف الحجاب، ولم أعرف أنه أخ للخليفة سيدي الحاج علي إلا بعد ذلك، وقد كان معظما محترما عند الشيخ قدس سره وعند خاصة أحبابه، لقرابته من خليفته، وحسن سيرته وتور سريرته، وفي ترجمته قلت في نظمي المسمى جنة الجاني:

ومنهم محبه مسعود	أخو الخليفة الرضى المحمود
أثنى عليه الشيخ في المشاهد	بما به اتصف من محامد
وبأخيه في الطريقة اقتدى	فنال في سلوكه ما قصدا
قام على قدم صدق الخدمة	بحسن سيرة ورفع همّة
فكان ملحوظا لدى الإخوان	بما به قد فاق في الأقران
وهكذا الصادق في الأحوال	يحرز ما رام من الآمال

¹ - سيدي مسعود برادة، من قدامى تلامذة الشيخ أبي العباس التجاني بمدينة فاس، أنظر ترجمته في كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 25. رفع النقاب، للمؤلف نفسه، 3 رقم الترجمة . إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للفقيه الحجوجي 2 رقم الترجمة 172. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 6.

الإمام بطرف من ترجمة السيد الحاج عبد الرحمان¹

برادة ابن عم الخليفة المذكور

هذا السيد من خاصة أحببنا سيدنا رضي الله عنه، الذين كانوا عنده بمكانة من المحبة، المضمون لهم الفتح في الطريقة التجانية، وقد ظفر على يد الشيخ بما وعد به، فأحرزه طبق ما يتمناه، وقد كان حريصا على الأخذ بخاطر الإخوان قيد حياة الشيخ قدس سره وبعدها، وكانت لديه جملة وافرة من الذخائر التي أكرمها بها الشيخ رضي الله عنه وحازها من حضرته، وقد تبركت بكثير من المآثر المذخرة منه لدى حفدته، منها العصا التي كان سيدنا رضي الله عنه يتكى عليها، وفيها قلت حين تبركت بها:

بشراي قد جاد لي دهري بأمنيته وحاز كفي سرا لم يكن حازه
إن فانتني من يدي شيخي مصافحة فاليوم ها أنا قد صافحت عكازه

¹ - الحاج عبد الرحمان برادة، من أعلام الطريقة التجانية بمدينة فاس، وبها توفي عام 1234 هـ، ودفن بروضة سيدي ابن عمر داخل باب عجيسة، أنظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 2 رقم الترجمة 125. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 4. كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 22. تطيب النفوس بما استقدته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 28 (مخطوط). كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي 109 و 170 (مخطوط). إتحاف المطالع، لابن سوادة 1: 125. معلمة المغرب 4: 1153. موسوعة أعلام المغرب 7: 2505. غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 31 رقم الترجمة 12.

وقلت في ذلك أيضا:

شيخي التجاني له بين الوري رتب بنيلها ربه عن غيره مازه
إن كان قد فاتني التقبيل من يده فاليوم ها أنا ذا قبلت عكازه

وقد شاع أمر هذه العصا عند نسوان فاس، وأن من صعب عليها
الطلق تمسكها بيدها وتقف فتضع بإذن الله، حتى صار ذلك عندهن من
الأمور التي جربت فصحت، ومن ذلك التبرك بسرد سبحة اليسر¹ التي
كان يعد سيدنا رضي الله عنه بها أذكاره، غير أنها يخص عدد المائة منها
بعض الحبات، أخذها منها بعض الورثة بقصد التبرك بها²، وتلوت بها
والحمد لله عددا من الذكر تبركا بقبوله.

¹ - اليسر : شجر له حب شديد السواد طيب الرائحة، وفيه يقول بعضهم :

هو اليسر إن أردت عزا وراحة وكنزا من الخيرات لا يتبدد
جليل محبب لدا الناس كلهم ولونه صاف ذو نظارة أسود
يفوح بعطر المسك في كل ساعة لتعلم باليقين أنه الأجود
ويكفي افتخارا أنها السبحة التي بها يذكر الشيخ التجاني أحمد

² - قال العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه الشمائل التجانية: كانت لسيدنا رضي الله عنه
سبحة يذكر بها أذكاره اللازمة وغيرها، وكانت من النوع المسمى باليسر، ولم يكن فيها
ترصيع بفضة ولا غيرها كما يستعمله من دأبه الفخر، وإنما اختار هذا النوع لسبحته والله
أعلم لأمرين، أحدهما أن هذا النوع طيب كما أن الذكر طيب، فاختر الطيب للطيب، ثانيهما
أن هذا اليسر فيه فال حسن، والنبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن، وكان عدد
حبات سبحته مائة بلا زيادة ولا نقصان. وعلى هذا العدد تعقد كل سبحة تجانية اقتداء بشيخنا
رضي الله عنه.

ومن ذلك شعرات مدخرة لديهم من شعر الشيخ رضي الله عنه
المأخوذ من شعره بقصد التبرك بذلك¹، مما لا بأس به عند من لم ينطوي
باطنه على سوء اعتقاد وقبح انتقاد، وفي ترجمته قلت في جنة الجاني:

ومنهم المحب عبد الرحمان	برادة قد فاق بين الأقران
كان له قدم صدق في السلوك	وهمة ما نالها إلا الملوك
ما مال للدون ولا للدنيا	وإنما همته في العليا
صعد في مدارج الصعود	حتى غدا من أسعد السعود
ولم يزل مستغرقا في الذكر	حتى ارتقى إلى مقام الشكر
معمرا أوقاته في عمره	مشمرا أذياله لوطره
فنال طبق ما تمنى في الملا	وفتحه بشيخه قد كمالا
وكم لهذا السيد المبجل	من المآثر ومن سر جلي
وصاحب الصدق يفوز بالمرام	ولم يزل يحظى به طول الدوام
فاصدق ترى بالعين سر الصدق	فالصدق من عادة أهل الحق

خاتمة، وهي في الحقيقة كالمقدمة

بعدما دعيتي الدواعي إلى شرح هذا الكتاب وشرعت فيه وقفت
أمامي عقبات، كادت أن تحول بيني وبين الغاية التي نويت الوصول إليها،

¹ - كان سيدنا رضي الله عنه منور الوجه بالشيب، غاب اسوداده في بياضه، بل عمه
الشيب، وهو في فرح تام من ذلك الوقار الإبراهيمي الذي طالما تمنى أن يناله قبل الوفاة، لما
تحققه في عالم سره بما للشيب من كبير الحرمة عند الله، ويعجبه سماع قول القائل في
خضاب مولاه:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم	في رقبهم عتقوها عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما	قد شبت في الرق أعتقي من النار

وأنا راكب على مطية العزم، لكن داخلني الفشل حين نظرت للنتيجة التي أحصل عليها بعد الوفاء بالوعد طبق القصد، وأي نتيجة في شرح كتاب يراه المعتقد واضح المعنى، سالم المبنى، وتوضيح ما اشتمل عليه من تحصيل الحاصل، وما هو كالشمس في الظهور لا يقال فيه للبصير هذا شيء خفي أو ظاهر أو ناقص أو كامل، فإن تفسير الواضحات من المفضحات، وليس في ذلك إلا تسويد وجه الورق بلا طائل، وتضييع العمر عند العاقل.

ويرى المنتقد كون هذا الشرح والمشروح مما لا نفع فيه للشبيبة الناشئة في حجر العلوم العصرية، فإنهم ينظرون إلى كتب التصوف بعيون ملؤها استخفافا بمن انخرط في حزب شيوخ الطرق والزوايا، أو اعتقد كرامات من تقدم، مما عدوه من المضحكات، وما في ضمن ذلك من البلايا، فالشرح والمشروح والموضوع فيما هو من هذا القبيل في أنظارهم لا طائل تحته، ويعدون كل من ألف في مثل هذا ممن ضيع وقته، سيما والمستقبل قاض برفض الدين.

وقد ظهرت مبادئ ذلك في المتمدنين، فتكون كتب التصوف وما كان من معناها من كتب الفقه عندهم موضوعة في خزائن الكتب التي يعدونها من نوع الآثار القديمة الموضوعة في المتاحف، فلا ينظرون إليها إلا من جهة الإعجاب بأهلها الذين ضيعوا أوقاتهم في تأليفها، مستهزئين بهم في ما ألفوه، وكأن أهلها الذين صرفوا في تأليفها نفائس أنفاسهم لا عقل عندهم، ولو كانت عند مؤلفيها عقول لعمروا دنياهم التي هي النتيجة

الكبرى الواضح منفعتها في نظرهم، وكفى بهؤلاء المنتقدين خسارة في الدين، وعدم وصولهم للغاية التي وصل إليها غيرهم من المتمدنين غير المتدينين.

ولقد نظرت لنظر المعتقد فوجدته مصيبا في الجملة، ولنظر المنتقد فوجدته يناسب عقله، غير أن خير الأمور التوسط في كل شيء، فعملت على ما رأيته في كتبي لهذا الشرح، غير مبال بما يخطر بالبال من أوهام توقع التردد أو التأخر عن المقصد الذي لا يلتفت في الظفر به إلا اقتحام مخاطر الأهوال في أحوال الأحوال، وليس كل معتقد يستغني عن الشرح، ولا كل منتقد تمكن فيه بغض ذوي الفتح، فرفض ما يقصده مفيدا إخوانه لخطرات وهمية لا ينبغي له بين أقرانه، ولعله ينفع من اطلع عليه في الحال، أو غابر الاستقبال، كما يضر بآخرين لم أرد فيهم إلا الإصلاح ما استطعت، برفع النقاب عن وجه الحقيقة، وكشف الحجاب عن مخدرات المعارف لإخواني في هذه الطريقة، ويجد فيه غيرهم ما تقر به أعينهم، وإن كانوا من ذوي الاعتقادات المرضية في أهل الحق، وإنني أرجو الله أن ينفع الجميع، بجاه النبي الشفيع، صلى الله عليه وسلم.

وقد اعتذرت بما اعتذر
ت به فهل من عاذر
من لامني من بعدها
ذا فليس بضائر

ولقد أعربت أولا عن النهج الذي أسلكه في هذا الشرح، وفانتي أن أبين الخطة التي أجري عليها في تطبيق لفظ المشروح على لفظ المقصد الأحمد، بذكر عباراته أو إتمام ما نقص منها، ليعمل المنتقد على شاكلته إن

لم يقتنع بالأعدار المتقدمة، وليتحقق المعتقد بما ذكرناه، فيقول بما قلناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحيث وصلنا إلى هذا المقام، فلا بد أن نتكلم هنا على مالنا من الإذن والإجازة في هذه الطريقة فنقول :

سندنا في الطريقة الإجازة فيها

قد تلقيت الطريقة التجانية عن جماعة من أجل المقدمين فيها، كما تلقيت التقديم فيها عن بعض الخاصة من المفتوح عليهم فيها، فأجازني في ذكر أوراها اللازمة شيخنا العارف بالله العلامة الكبير مولاي عبد المالك الضرير¹، بعد أن لازمت ذكرها من غير إذن فيها، وكنت في بعض الأحيان أحضر في الزاوية الشريفة مع جدي بركة السلف سيدي الحاج

¹ - عبد المالك العلوي الضرير، من أعلام الطريقة التجانية، توفي صبيحة يوم الجمعة 16 جمادى الثانية عام 1318هـ، بسبب حمى خفيفة مرض بها نحو أربعة أيام، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن بالزاوية الناصرية بحومة السياج من مدينة فاس، و قد أفرده تلميذه عبدالسلام بن عمر العلوي بتأليف سماه: الروض النضير في الإعلام بأحوال مولاي عبد المالك الضرير، وراثه تلميذه العلامة سكيرج برائية قال في مطلعها :

ما بال صبرك بعد الحزم قد قهرا
ودمع نوحك طوفانا على ما جرى
أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 234، وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 7، وفي فتح الملك العلام للفقير الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 68، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 14، وفي فهرسة العلامة سيدي محمد فتاح بن قاسم القادري ص 38. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2: 208 رقم الترجمة 88. إتحاف المطالع، لابن سوادة 1: 348. الأعلام، للزركلي 4: 164. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 246_ 247. موسوعة أعلام المغرب 8: 2823. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سوادة 1: 214. إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، للعلامة حسن مزور 39_ 43. نخبة الإتحاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 154. الشكل البديع في النسب الرفيع، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (مخطوط خاص). الدرر البهية و الجواهر النبوية، للفضيلي 1: 241. مختصر العروة الوثقى، للحجوي 51. فهرس العلامة المؤرخ محمد (فتاح) سكيرج (مخطوط خاص)..

عبد الرحمان سكيرج¹، لذكر الوظيفة فيها وحضور ذكر الجمعة، كما كنت أرافق والدي في ذلك، فقد كان جدي المذكور له الإذن فيها عن بعض المقدمين فيها، أما والدي رحمه الله فإنما كان يذكرها من غير التزام شروطها، اعترافا منه بعدم قدرته على القيام بها، وإن كان أذنه في ذكر أذكارها بعض خواص المقدمين من غير التزام شرط، لماله من صدق المحبة في هذا الجنب.

¹ - الحاج عبد الرحمان سكيرج كان معاصرا للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. محبا فيه متمسكا بطريقته. عاضا عليها بالنواجذ. لكنه لم يأخذ عنه الورد مباشرة لصغر سنه وقتذاك. بل أخذه بعد وفاته عن بعض الخاصة من المقدمين بفاس المحروسة. وقد ترجم له حفيده الحاج أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ص 239 فقال في حقه بعد كلام ما نصه: وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له في الدخول في هذه الطريقة ويجازيه بالخير. ويقول له: قد كنت في غفلة عن هذا الخير العظيم الذي أنعم الله به على هذه الأمة. والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني للدخول فيها. وكان يذكر في كل يوم صلاة الفاتح لما أغلق أزيد من 3000. مرة إلى أن توفي رحمه الله وفاة الصالحين. بعدها قرأت عليه الوظيفة الشريفة. وهو يقرأها. وعند فراغها قال لأهله: أين الكأس الذي أتاني من عند الإله. وصار يبحث فوق الفراش عنه. حتى أخذوا كأسا ودفعوه له. فقال لهم: سبحان الله إنه سقط ولم يهرق. ثم شربه فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى في 7 ذي الحجة الحرام عام 1311 هـ وعمره يناهز 90 سنة. ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة بفاس قرب سور البلد رحمه الله. انظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 6. وفي تحقيقنا لكتاب مورد الصفا في محاذاة الشفا للعلامة سكيرج ص 7.

ثم تلقيت الإذن في ذكرها عن مجيزنا العلامة المتضلع من بحر
الفنون، أبي الفتح سيدي الحاج محمد بن عبد السلام كنون¹، وهو جالس
بمحراب الزاوية الشريفة، وقد حضرت لدى سرد كتاب جواهر المعاني
بمجلسه هناك، وكان يحضر في حضرة سردها جماعة من جلة الطريقة،
منهم شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي،

¹ - محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، من كبار أعلام الطريقة التجانية، له مؤلفات كثيرة
تناهز الخمسين، توفي بعد عصر يوم الجمعة 28 شعبان الأبرك عام 1326هـ، وصلي عليه
بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بضريح الولي الصالح سيدي أبي
غالب، عن يسار الداخل للقبه، وقبره متصل برجل الولي المذكور. أنظر ترجمته في قدم
الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 8، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقير الحجوجي
ج7 ص1_39، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 46، وفي فتح الملك العلام لنفس
العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 125، وفي معجم المطبوعات لسركيس 717، وفي
الأعلام للزركلي ج 7 ص 77، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44-46 رقم
13. دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة 1: 143. إتحاف المطالع، لابن سودة أيضا 1:
378. موسوعة أعلام المغرب 8: 2853. معلمة المغرب 20: 6833. نخبة الإتحاف فيمن
منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 163. نسمات
القرب و الإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للعلامة
الحجوجي أيضا 52. الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس
العراقي 32. اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني و بطريقته و زاويته الأم
التجانية، للمؤلف نفسه 92_94. الجواهر الغالية المهداة لنوي الهمم العالية، للعلامة سكيرج
50. إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، للعلامة حسن مزور 31. معجم المؤلفين، لكحالة 11:
234. الفكر السامي للحجوجي 2: 372_374 رقم 819. مختصر العروة الوثقى، للمؤلف
نفسه 37: 42. المطبوعات الحجرية في المغرب رقم 52، رقم 92، رقم 152، رقم 160،
رقم 515. كناش العلامة أحمد بن الطيب الفلالي (مخطوط خاص)

وشيخنا الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس¹ وغيرهما، ولقد كان يتكلم أثناء سردها بما سنج له وامتد به باعه الطويل في العلوم والمعارف، وما تنشرح به الصدور مما يبيديه من اللطائف.

ولقد تكلم مرة في مسألة تعرض لها في جواهر المعاني، و استلقت الأنظار بما قرره فما لنا نحوه لاعتراض على تلك المسألة، فأسكته شيخنا العبد لاوي المذكور، وقال: لا تصل في هذا الميدان برأيك، ولا تحسب نفسك أنك من فرسانه، فإنك لست من العلماء، و قصد رضي الله عنه بهذا السُّلوكَ به من المقام الذي تصدر فيه، واستولت عليه النفس بالانتصار

¹ - الفقيه العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس. الفاسي دارا ومنشأ. الأندلسي نسبا. ولد بالعقبة الزرقاء بفاس في شهر ذي القعدة الحرام عام 1267 هـ، وبها نشأ وشب، فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا. ثم تعاطى لطلب العلوم. فأخذ عن جماعة من أكابر علماء القرويين. كوالده العلامة الحاج العربي بن محمد بنيس. وسيدي محمد بن المدني كنون. وأحمد بن سودة. والهادي الصقلي. ومحمد التدلوي. وأحمد ابن الخياط. وجعفر الكتاني وآخرين.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها: نظمه للحكم العطائية المسمى: بواضح المنهاج بنظم ما للتاج. ومنظومة في علم التجويد. في أكثر من خمسمائة بيت. وفتح الجليل في بيان مجادلة الخليل. والنفحة السرية في مدح البرية. ورفع الشجب عن ذكر رجب. وبردة المديح من الهمزية. في 459 بيتا. والأنوار الوهية من الأحاديث النبوية المقتطفة من الأدعية. وتقويد في السواك. وعقد اللآلئ الوامض بدرر من جملة الفرائض. ودرة التاج وعجالة المحتاج. وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

أخذ الطريقة التجانية عام 1316 هـ على يد العلامة المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. وكان عمره إذ ذاك 49 سنة. ثم أخذها بعد ذلك على وجه التبرك عن جماعة من الأفاضل الآخرين. كالعارف بربه سيدي العربي العلمي اللحياني. والولي الصالح سيدي أحمد العبد لاوي. والشريف المقدم سيدي الطيب السفيناني. توفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الإثنين 1 جمادى الأولى عام 1350 هـ- 14 شتنبر 1931م. وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين. ودفن خارج باب الفتوح بفاس. أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ت 45. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للفقيه سيدي محمد الحجوجي 7: 262-263. وفي فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ت 165. وفي موسوعة أعلام المغرب، لحجي 8: 3004. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 40.

لحظوظها على عادة علماء الظاهر، فاستتكف من هذا المقال في هذا المقام، الذي كان يحضره نحو المائة من أعيان الطريقة وغيرهم، فقال: كيف لا أكون من العلماء وأنا محرر المعقول والمنقول، وحافظ من العلوم ما يبهر العقول، فقال له: قلت لك إنك لست بعالم لتراجع نفسك، وانظر في مرءاة المعنى حسك، وقام شيخنا العبدلاوي من المجلس قائلاً: لا تقف مع النفس، وكان ذلك المجلس آخر اجتماع.

وقد انتصر بعض عوام الطريقة لمجيزنا كنون المذكور، إلى أن وقع ما وقع من افتراق بينهم غير محمود، وأصيب جلهم بما حملهم على استعطاف خاطر شيخنا العبدلاوي في مسامحتهم، فسامح بعضهم ممن اعترف له وتعلق به، ولقد رأينا والله جل من خاصموه أصيبوا بمصائب دينية وبدنية ومالية.

وممن سامحه فيما صدر منه الفقيه المدرس السيد علال بن شقرون¹، فقد مرض عقب ذلك الإنتصار مرضه الذي توفي فيه، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم و قال له: لقد آذيتني في العبدلاوي، فاطلب منه المسامحة، وأخبره بهذه الرؤيا، فسامحه، وعقب ذلك اجتمع جل الإخوان بعدما أصيب مجيزنا كنون المذكور بالأوهام التي ألزمته ملازمة بيته إلى أن توفي رحمه الله، وتعلقوا بشيخنا العبدلاوي في مسامحته، وعملوا نزهة مهمة وجمعوه معه، واستعطف خاطره في ذلك، فقال: أما أنا فقد سامحتك،

¹ - العلامة الأديب، المقدم الجليل، سيدي علال بن أحمد بن شقرون الفاسي، من خيرة فقهاء فاس، اجتمع بالعارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح مرتين، الأولى عام 1304 هـ، والثانية عام 1308 هـ، لكنه لم يأخذ عنه أوراد الطريقة، وتأخر أخذه لها إلى سنة 1313 هـ على يد العارف الشهير سيدي العربي اللحياني العلمي، وأجازه فيها جماعة منهم العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي. وله رحمه الله قصائد كثيرة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه، منها قصيدة قال في مطلعها:

سعد الذي حط الرحال بفاس في روضة المولى أبي العباس
ومن قصائده كذلك قصيدة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه حين وفد التابوت التونسي
المزركش للضريح الشريف، قال في مطلعها:

مولاي هذا العبد أصبح لاإذا بحمي ضريحك يا أبا العباس
ومن أبياته التي نقشت بمقر الزاوية الميمونة بفاس قوله:

إن ترد ماء العيون	أو ترد كحل العيون
فشفاء الصدر عندي	فأنا عين العيون
فالرضا في حسن وجهي	وبهائي وفنوني
وجميع الخير فاقصد	لو يكن فوق الظنون
مددي مولاي أحمد	قطب أقطاب القرون
التجاني خاتم في	سره كتم الشؤون
فتوضأ صاح واشرب	دون تقدير معون
وإذا تقرا فأرخ	نور شكلي في الجفون

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 128. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، لنفس المؤلف ج 7. وفي نخبة الإتحاف، لنفس المؤلف كذلك، رقم الترجمة 168. وفي رفع النقاب، للعلامة سكيرج ج 1 ص 157.

ولكن قد وقع ما وقع، فاستتكف شيخنا كنون من ذلك، وافترق الجمع، وبعد أيام توفي شيخنا كنون رحمه الله.

وتلقبت الطريقة والتقديم عن شيخنا العبدلاوي المذكور، وهو عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني، عن الشيخ رضي الله عنه، وأجازني أيضا في هذه الطريقة شيخنا العلامة مفرد القضاة الثالث، القاضي سيدي حميد بناني، والمقدم البركة سيدي الحاج الطيب السفيناني¹، والشريف المنيف سيدنا ومولانا محمود² بن مولانا البشير بن مولانا الحبيب بن

¹ - الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري السفيناني، أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، و هو حفيد الفقيه البركة سيدي الطيب السفيناني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، و المعروف عن جده المذكور أنه كان من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

أما المترجم فهو من مواليد مدينة فاس عام 1262هـ، و بها نشأ في بيئة دينية فاضلة، فما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى تمسك بورد الطريقة التجانية إسوة بوالده و جده، اللذان يعدان من خيرة أعلام الطريقة المذكورة، و كان والده أحمد السفيناني هو أول من لقنه أوراد هذه الطريقة، و ذلك في خضم سنة 1280هـ، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من الأفاضل، في مقدمتهم الشريف البركة سيدي محمد البشير التجاني، و أحمد العبدلاوي، و علال بن عبد الله الفاسي، و الحسين الإفرائي و آخرون.

توفي بعد زوال يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ_ 17 يناير 1939م، و صلي عليه بعد صلاة العصر بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، و دفن خارج باب عجيسة بجانب قبري والده و جده، و قد رثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة افتتحها بقوله:

أحباب قلبي هل تعيرون لي صبيرا على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا
فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدته لديها إذا ما غيرها وجد الصبرا

إلى أن قال:

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا لنفع مردي الخير بالذكر و الذكرى
على فقدته فليبك من كان باكيًا و لم يعتذر في حقه من بطن الدهرا

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 52. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوي 2: 63_65. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 42.

² - أنظر ترجمته في ص 201

الشيخ رضي الله عنه، كما أجازني أخوه سيدنا ومولانا محمد الكبير¹ بما اقترحته عليه وطلبتة منه بما أجازني به، وختم عليه بطابعه الشريف، وقد نقلت إجازات الجميع فيما قيدته من كتب الطريقة وغيرها، ويناسب نقل ذلك هنا ليطلع عليه من تشوف إليه.

نص إجازة شيخنا العارف بالله سيدي

ومولاي أحمد العبد لاوي² رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، الحمد لله جل جلاله، وعز كماله، وتقدست صفاته وأسمائه، وتعالى عزه، وتقدس مجده وكرمه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وبعد: فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني الحميد، أحمد بن محمد، ثم العبد لاوي خديم التجاني، عامله الله بفضله وكرمه في الدارين، أجزت وأذنت لولدنا السيد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج في إعطاء طريقة شيخنا القطب التجاني، وهو الورد المعلوم الشريف، الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهو: أستغفر الله مائة، وصلاة الفاتح لما أغلق. إلخ.. مائة مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وهذا الورد هو لازم للطريقة المحمدية يتلوه صباحا ومساء.

والوظيفة الشريفة هي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، والهيللة مائة

¹ - أنظر ترجمته في ص 205

² - أنظر ترجمته في ص 35

مرة، وجوهرة الكمال اثني عشرة مرة، وتكفي في وقت واحد إما في الصباح أو في المساء، وإن تيسر في الوقتين فحسن، وتقرأ مع الجماعة، وهي شرط فيها إن كان في البلد إخوان، وإن كان وحده ولم يجد الجماعة قرأها وحده.

ومن لوازم الطريقة ذكر الهيلة بعد عصر يوم الجمعة إن وجد إخوانا، وإلا ذكرها وحده، ويجعل عددا ملزوما على نفسه من عشر مائة إلى اثني عشر مائة، انتهى ما أملاه على ولده حفظه الله، وكتب بخطه المبارك ما نصه: الحمد لله، يقول كاتبه العبد الفقير إلى الله خفي شاهد علي، أجزت ولدنا الأرضى الناسك سيدي أحمد فيما كتبه ولدنا سيدي محمد نفعه الله ونفع من أخذ عنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. إهـ..

نص إجازة مجيزنا القاضي العدل سيدي حميد بناني¹ رضي الله عنه

الحمد لله مجيز سائله وقاصده، ومانحه أسباب المعالي وقائده، تفضل على هذه الأمة بنبيها خاتم الرسالة، وجعلها خير الأمم وأفضلها على كل حاله، وأمد أوليائه بمعارف أنواره، وخصصهم بمظاهر آياته وأسراره، نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، ساتر العيوب، المتفضل على عباده بمحو الآثام وكبائر الذنوب، اصطفى من شاء للإهداء به، فجعلهم إبريزا خالصا، فرقى به كاملا، وكمل به ناقصا.

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، الفاتح لما أغلق من المسائل وأشكل، والخاتم لما سبق، فهو الآخر صورة، والأول الساري سره في جميع أولياء أمته، أصل الوجود ومعظمه وطراره وأساس طلعه، هو طبيب القلوب ومربيها، ودالها على سبل رشادها ومنجيتها، صلى الله

¹ - حميد بن محمد بناني، فقيه محدث قاض، من مواليد مدينة فاس، وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أجازة فيها العلامة الخطيب سيدي علال الفاسي، عن البركة سيدي بوعزة برادة، وكانت وفاته رحمه الله في ضحوة يوم الخميس 11 صفر الخير عام 1327هـ 4 مارس 1909م، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين، ودفن بالزاوية الصقلية داخل باب عجيسة، أسفل ضريح العلامة القاضي مولاي محمد فتاح العلوي، بفاصل قبر واحد مما يلي الحائط، وكان لجنارته احتفال باهر حضره الجم الغفير من الناس. أنظر ترجمته في فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لمحمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 73. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للمؤلف نفسه، الجزء السابع (مخطوط خاص). قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 21. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). فهارس الفهارس و الأثبات، للكتاني 346_347 رقم 146. الأعلام، للزركلي 1 : 249. إتحاف المطالع، لابن السودة 1 : 381. دليل مؤلف المغرب الأقصى، للمؤلف نفسه 1 : 142. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2 : 155 رقم 64. معجم المؤلفين 4 : 83_84. زهر الأس في بيوتات أهل فاس 1 : 159_160. الدرر الفاخرة، لعبد الرحمان بن زيدان 107. إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، للصدقي 102. جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3 : 817 رقم 202. معلمة المغرب 5 : 1476. موسوعة أعلام المغرب 8 : 2856.

وسلم عليه وعلى آله العارفين الكمل، وأصحابه الهداة المرجوين في كل مؤمل، صلاة وسلاما دائمين بدوام الليالي والأيام، طالعا يمنهما بمطالع خاتمة الصدر وبدر التمام، هذا وقد سألتني من لا أستطيع رده ومخالفته، ولا أروم إنجاز قصده وموافقته، أخونا ومحل ودنا، ونزِيل ضميرنا وخذلنا، الفقيه الألمعي، المتفنن الأديب النجيب اللوذعي، الذي وجه همته للمعالي، ورام التشبث بما تنافس فيه الهمم العوالي، فلا تراه إلا على المكارم يعرج، سيدي أحمد بن الأبر الحاج العياشي سكيرج، أسمى الله درجته، وأمد بفيض العرفان ملكته، حيث جمعنا معه دائرة القطب المكتوم، والغوث المختوم، صاحب المقام الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، أعاد الله علينا جميعا من بركته، وأثابنا على محبته ولزوم طريقته، أن أجزه فيما طلب مني الإجازة فيه، مما يرجع إلى الطريقة الأحمدية التجانية المحمدية، ظنا منه أنني أهل لذلك، أو ممن سلك أدنى شبر من تلك المسالك، وهيئات هيئات أتى لي بلحوق أولئك الرجال، والعبور على سبيلهم الحسنى في كل مجال، ولكن لما قوت في هذا الجانب محبته، وخلصت بنيته طويته، أحبته حينئذ إسعافا لرغبته، وعملا بصدق محبته ونيته، فقلت والله المستعان، وعليه جل جلاله التكلان، قد أجزت الأخ المذكور في تلقين أوراد شيخنا العامة والخاصة، بشروطها المقررة، وآدابها المعتمدة، كل على قدر مشربه، ورجحان عقله ومطلبه، مع الإذن له في التقديم المطلق لتلقينها، لكن مع وجود الأهلية، ومراعاة الاستحقاق والتركية، كما أخذنا ذلك بالإذن الثابت الصحيح، والخطاب الرقمي

والشفاهي الصريح، عن القدوة المقدم المواسي، الفقيه الخطيب البليغ
البركة سيدي علال الفاسي، و هو عن القدوة المقدم سيدي أبي يعزى،
جزاه الله بأحسن ما به المجيز يجزى، ابن مؤلف جواهر المعاني الخليفة
البركة أبي الحسن سيدي علي حرازم برادة، رزقنا الله وإياه الحسن
وزيادة، وسيدي أبو يعزى المذكور عن سيدي محمد بن عبد الواحد بناني
المصري¹، لكن في التقديم المطلق وغيره من تلقين الأوراد. إلخ.. و عن
أبي الحسن سيدي الحاج علي التماسيني في تلقين الأوراد و الإذن في
التقديم خمسين تقديمًا مقيدًا لا يتسلسل، وقد أذن أبو يعزى لبعض من العدد
المذكور المأذون له فيه، وأذن لسيدي علال الفاسي المذكور في تكميل ما
بقي، فأذن لمن أذن له في ذلك، وأذن لنا في تقديم ستة من العدد، فأذننا لمن
أذننا له منها، ونحن نأذن للأخ أيضًا في تقديم واحد من العدد الباقي، بعد
إذن من أذننا له في بعضها.

¹ - محمد بن عبد الواحد بناني المصري، من أعلام الطريقة التجانية، استوطن مصر وبها
توفي، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل
الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 356. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي
محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه 39. سر الإكسير المسوق من
الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 18. كشف الحجاب، عن تلاقى مع
الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 272-273. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3:
160. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط) الجواهر
الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 30. تطيب النفوس، بما كتبه من بعض
الدروس والطرّوس، للمؤلف نفسه 232. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي
171. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد
الأمزالي 4-5. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي
16. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 6. رسائل العلامة القاضي
أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 332.

وعليه بتقوى الله ومراقبته، وملاحظة طريقته ومعاملته، فإن بتقوى الله ينال العبد سائر المزايا، ويسود بفضل الله على كل البرايا، إذ ما وصل من وصل في القديم والحديث إلا بتقواه تعالى كما تشهد لذلك آيات متكاثرة وأحاديث، ونسأله سبحانه التوفيق بمنه، وأن يختم بالخير أعمالنا، ويبلغ من رضاه وقربه آمالنا، ويمن علينا بما منّ به على أهل حضرته ومحبته وطريقته، وأمانتنا على السنة المحمدية، وجنبنا البدع الرديئة، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، فمن أجاز من ذكر فيما ذكر أمر بكتبه لسائله، وقيد في حادي عشر رمضان المعظم عام 1324هـ رزقنا الله خيرَه، ووقانا شره وضيره، وهو أحمد بن محمد بناني، وفقه الله بمنه وجميع المسلمين. إه..

نص إجازة مجيزنا المقدم سيدي الحاج

الطيب السفيناني رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه¹، لا إله إلا هو الواحد الأحد الملك القهار بالاختيار، الذي يخلق ما يشاء ويختار، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه المرجع في الإيراد والإصدار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، الذي

¹ - أنظر الحكم العطائية الكبرى لابن عطاء الله الإسكندري رقم 156

جعلنا الله تعالى به إخوانا، وأمرنا فيما أنزل عليه أن نكون على البر أعوانا، وأرشدنا على لسانه أن نعص بالنواجد على شريعته الغراء وسنته الزهراء سرا وإعلانا، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا بصحبته السبق، وحسنت منهم الأخلاق، وكرمت منهم الأعراق، فأمنوا به وعزروه ونصروه وبذلوا في محبته المهج والأحداق، صلاة ينتظم بها شملنا في سلك أهل المحبوبة الكاملة الصرفة أي انتظام، وسلاما يلحقنا بدرجة من قال الله ربي ثم استقام.

أما بعد فقد طلب منا التقديم أخونا في الله الفقيه الفاني عمره في مدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح مولانا الشيخ رضي الله عنه، العالم العلامة السيد أحمد سكيرج، طلب منا الإجازة في التقديم زيادة على ما عنده ليحصل على مزية التخصيص بأخذ الإذن من هذه الحضرة الأحمديّة، فاتخذنا الله تعالى في إسعافه، فها نحن طالبا معتصما بحول وقوة من له المنة والطول، مستمدا من أنوار الحضرة المحمديّة، وأستفيض من أسرار الحضرة الختمية الكتمية، مجيزا له في ورد سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الأكبر، والقطب المكتوم الأشهر، سيدنا ومولانا أحمد أبي العباس التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه، ومتعنا وسائر الأحبة برضاه، وكذا في وظيفته المعلومة، و ذكر الهيلة بعد صلاة العصر يوم الجمعة، التابعين الأصل، المشمولين باللزوم معه ذكرا وتلقينا، ولمن طلب منك التقديم لإعطاء الورد.

ويعطى هذا الورد لمن رغب فيه من المسلمين والمسلمات ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا كبيرا أو صغيرا بعد أن تعرض عليه الشرط المشروطة، والآداب التي هي في كتب الطريقة منوطة، وكذا في جميع ما ثبت لديه أنه مروى عن الشيخ رضي الله عنه في الإنكار والأحزاب والأدعية والنوافل الموقفة بالأوقات المرعية، إجازة في إعطاء الورد شافية كافية.

وسندنا في هذه الإجازة المباركة بما أجازني به العالم العلامة الأشهر، العارف بالله تعالى الشريف الجليل المقدم البركة سيدي الحاج الحسين الإفرائي المدعو بالسوسى، وهو بما أجاز به العالم العلامة العارف بالله تعالى المقدم البركة أبو عبد الله سيدي محمد الكنسوسى¹، وهو أخذ عن أربعة أناس من أركان الطريقة، كلهم أخذوا من الشيخ

¹ - العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، أحد مشاهير رجالات الطريقة التجانية، ولد بسوس عام 1211 هـ، وتوفي بمراكش بتاريخ ليلة الثلاثاء 28 محرم عام 1294 هـ، ودفن خارج باب الرب، قرب ضريح الشيخ أبي القاسم السهيلي، أنظر ترجمته في الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى 9: 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام 7: 8-17 رقم 852. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2656. الأعلام للزركلي 6: 19. آداب اللغة العربية 2: 21-22. إيضاح المكنون 1: 418. بروكلمان 2: 884-885. رسائل معلمة معالم سوس، سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، تحقيق حفيده العلامة أحمد الكنسوسى. تاريخ الشعر والشعراء بفاس، للنميشي 36. تاريخ المكتبة الإسلامية ومن ألف في الكتب، للعلامة عبد الحي الكتاني 89. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 431-444. حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرخيني (مخطوط خاص) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1: 38-145 165-205-207-260 و 2: 379 - 391 - 427 - 454 - 272. ذكريات مشاهير رجال المغرب، لعبد الله كنون، العدد الرابع. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 202. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 25. رجالات العلم العربي في سوس 207. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 111-139. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت 2: 417-418 رقم الترجمة 304. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1: 577 رقم رقم 1630، كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 328-334. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 43. فواصل الجمال في أنباء وزراء وكتاب الزمان 7: 40. فهرس المخطوطات العربية 2: 75، الكتابة والكتاب، للرندي 25، معلمة المغرب 2: 632-634. معجم المؤلفين 8: 310. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 23 رقم الترجمة 38. المعسول 11: 276 و 14: 29. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 200-213. مجلة المجمع العلمي العربي 12: 384. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، رقم الترجمة 333. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون 1: 317. هدية العارفين للبغدادي 2: 38.

رضي الله عنه بلا واسطة بينهم وبين الشيخ رضي الله عنه، أولهم الشريف الجليل المقدم البركة مولاي امحمد أبو النصر¹ عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه، والثاني الشريف الجليل المقدم البركة سيدي محمد الغالي أبو طالب عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه، والثالث الشريف الجليل المقدم البركة جدنا سيدي الطيب السفيناني الحسني، مؤلف الإفادة الأحمدية، عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه، والرابع المقدم البركة

¹ - محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، من أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، توفي بموطنه بفاس سنة 1273 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 158-170. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3 : 214-222. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). تطيب النفوس، بما كتبت من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 9 (مخطوط خاص). نيل الأماني، في الطب الروحاني و الجنائي المروي عن الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه، الجزء الثاني (مخطوط). الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 25 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 11. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة إلى سيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال. للمؤلف نفسه 43. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 20. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 7. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 26 (مخطوط) غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 21-24 رقم الترجمة 7. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس. للعبد المذنب محمد الراضي كنون. 1: 74. إتحاف المطالع. لابن سودة 1: 210. موسوعة أعلام المغرب 7: 2607. مصابيح البشرية، في أبناء خير البرية. لأحمد الشباني 1: 78. أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريقي 117. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 298. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية. للعلامة إدريس العراقي 28. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 172 و 174 و 177 و 178. تفضيظ ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 45 و 76 و 387 و 407 و 482 و 484 و 532 و 546. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 6 و 17، التجانية والمستقبل، للفتاح نور 156-157.

العارف بالله تعالى سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر عن سيدنا الشيخ
القطب المكتوم سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه بلا واسطة بين
هذه الأربع وبينه، عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأوصي المجاز المذكور إياه وإيائي بتقوى الله في السر والعلانية،
وأن يستوصي بإخوانه خيرا، وأن يجل كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويتفقد
غائبهم ويعود مريضهم، ويسعى في إصلاح ذات بينهم، وأن يعرض عما
بأيديهم من أغراض الفاني، إلا ما جاءه من غير تشويق ولا استشراف،
ختم الله بالخير أعمالنا، وبلغ من رضاه بقربه آمالنا، ومنّ علينا بما منّ به
على أهل حضرته ومحبته وطريقته، بجاه أشرف خلقه، وسراج أفقه،
نور الأنوار، وإمام المتقين الأبرار، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
ومجد وعظم، كتب في 20 من شوال الأبرك عام 1334هـ عبد ربه خديم
الأعتاب التجانية، الطيب بن أحمد الحسنى المدعو السفىاني لطف الله به
أمين.

نص إجازة مجيزنا سيدنا ومولانا محمود¹ رضي الله عنه، مع نص

الإجازة التي كتبها له والده سيدنا ومولانا البشير قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله حمداً لمن ألهم الإنسان وفهمه وعلمه بما لم يكن يعلم، وأهل أقواما بمحض كرمه ومشيبته لحمل أمانته وشريعته، ورفعهم بذلك درجات، إذ فتحوا أبواباً متبرجات، فنهجوا للعباد طريق الهدى والرشاد، وسلكوا بهم ما هو في الشرع معروف ومعتاد، والصلاة والسلام المضمخان بعبير التعظيم، المتوجان بتاج المبرة والتكريم، على عروس المملكة الربانية، وواسطة السلوك إلى الحضرة القدسية الرحمانية، وعلى آله السراة، وأصحابه الصالحين الهداة، ما أجيب داع، وأجيز في سماع، ورضي الله تعالى عن سادتنا الأولياء الكرام، خصوصاً القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين من بحره الرباني آمين.

¹ - سيدي محمود بن سيدي محمد البشير التجاني، توفي بالأغواط ليلة الأحد 14 محرم الحرام فاتح سنة 1353 هـ - 29 أبريل 1934م. ونقل إلى قرية عين ماضي. ودفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب التجاني، وقد أفرده العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بتأليف سماه: غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود (أنظره ضمن الجزء الثاني من كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج). أنظر ترجمته أيضاً في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 56. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الزرابي المبنوثة، للمؤلف نفسه 87 (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 54_57. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 262_264. أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 12 (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 90. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية للمؤلف نفسه 1: 80 (مخطوط). التعريف بالبلدة التتانية ذات المواهب الربانية، لأحمد بن علي الكشطي التتاني (مخطوط). رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 43.

و بعد فيقول أفقر الورى و أوجههم إلى عفوه، محمود بن البشير بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، بلغه الله من الخير كله الأمانى، أن ممن شمّر في طلب العلم عن ساعد اجتهاده، حتى بلغ منه بيمن الله نهاية مراده، وصدق عليه المثل السائر، كم ترك الأول للآخر، سند الأفاضل الأعلام، و بدر العلماء الكرام، من حوى جميع الفضائل، وحاز من محاسن الشيخ ما لم تحزه الأواخر والأوائل، الفقيه الوجيه، المدرس النزيه، صاحب الفهم الغواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص، حبيبنا وصفينا، رفيع القدر والمكانة عندنا، الشيخ سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أدام الله وجوده، وأرقى في سماء المعالي صعوده.

طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما عنده من أصول وفروع في طريقه التجانية الأحمدية، حمله ما جبل عليه من حسن النية، و خلوص الطوية، ظنا منه أني أهل لذلك، ولست كذلك، فأجبتة لذلك جبرا للخاطر، ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر، إذ ليس سلوك هذا السبيل سهلا، ولكن لي قصد جميل في سلوك هذا السبيل، وهو ضمانة النبي صلى الله عليه وسلم المختار لشيخنا وأولاده، ولحسن ظننا عولنا، وعليه توكلنا، فأقول: وعلى قدم الشكر أجول، قد أجزت له في جميع ما هو في جواهر المعاني، وأذنت له إذنا مطلقا من الأوراد اللازمة وغيرها، كما أجازني شيخي ووالدي سيدي البشير رحمه الله رحمة واسعة، والله أسأل أن يمنحنا وإياكم الرضى والقبول، فإنه أكرم مسؤول، وندعوه لكم في سنائح نسائم الأسحار، أدعية

خالصة بدوام المجد والوقار، وبدوام بقاءك، وعلو ارتقائك، وأن يقر عينيك بما يرتاح له الفكر، وينظر إليك بعين عنايته الربانية، ويجعلك في زمرة نبيه المصطفى، ووليه المرتضى، دنيا وأخرى، والله يجمعنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وأشياخنا وأشياخكم في أعلى عليين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين، إن شاء الله مطمئنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ودمتم محفوفين بالتكريم، مخصوصين بأفضل التحية والتسليم، كتب في 12 شوال عام 1329 هـ.

ولا بأس بذكر إجازة سيدنا ومولانا محمد البشير المشار لها في هذه الإجازة تبركا بها وحفظا لها من الضياع ونصها:

الحمد لله وحده، وصلى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، بعد حمد الله جل ثناؤه وعز كبرياؤه، وتقدست أسماؤه وصفاته، فإني أدنت في تلقين ورد جدنا الأكبر، والعلم الأخضر، والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والخاتم المحمدي الأشهر، مولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني، أدامنا الله في حماه في الدارين، قد أجزت بعد الاستخارة بعلم الله، والإستقدار بقدره الله، مستعينا به سبحانه ومستندا إلى حوله وقوته، لولدنا البار سيدي محمود أن يلقيه لكل من طلبه منه ورغبه إليه فيه، وقبل شروطه قبولا تاما، أنس صدقه فيه من المسلمين والمسلمات، أيا كان، وعلى أي حالة كان، جاعلا له في هذا الإذن وهذه الإجازة أن يقدم من ظهر له لإعطائه وتلقيه، سواء طلب منه التقديم أو لم يطلبه إن دعت

الحاجة إلى ذلك، كبلد فيها بعض الفقراء وليس فيهم مقدم، أو كبعد المسافة على البلد الذي فيها المقدم، أو نحو ذلك، لكن لابد في التقديم من مراعاة الأهلية المعتبرة بشؤونها المقررة، وهي مسطرة في كتب طريقتنا، مفصلة تفصيلا كافيا شافيا، وأقل مراتبها الواجب اعتبارها معرفة حقيقة الورد اللازم وأحكامه، ومعرفة شروطه المعتبرة فيه صحة وكمالا، ومعرفة الأذكار اللازمة بلزومه، وما يقضى و ما لا يقضى إذا خرج وقته، وما ينجر به السهو إن وقع شك أو تحقيقا، فهذا أقل ما يعتبر فيمن يراد للتقديم، وليأمره من قدمه أن لا يباشر كفه كف امرأة ليست بذات محرم منه عند التلقين، بل يلقتها بواسطة محرم منه، ولو لم يكن من أهل هذه الطريقة، وإن كانت متجالاة أو أمة فلا بأس أن يلقتها بنفسه، لكن باللفظ من غير مصافحة، فلا يظن ظان أننا نسقط في الطريق شيئا قل أو جل مما لم يبلغنا نص فيه عن الشيخ رضي الله عنه، عيادا بجلال الله من ذلك، و عليك يا ولدي بتقوى الله في السر والعلانية بقدر الاستطاعة، كما قال تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم¹.

و عليك أن تعامل إخوانك في الله بالرفق واللين والتسهيل والتيسير ما أمكنك، مراعيًا فيهم كونهم عبيدا لله وسره سبحانه خفي علينا، وأن تلاحظ فيهم أيضا حرمة الشيخ المضافين إليه، فرب إضافة بأدنى ملابس تلتحق العبد بأعلى مراتب أهل الله إذا وقعت عليه المحبوبة، وكان ممن سبقت له العناية بفضل الله، وعليه أن يأمر من يقدمه أو يلقيه الورد بذلك، وبالتباعد

¹ - سورة التغابن الآية 16

من الرياسة وأسبابها، فإن حب الرياسة كعبة تطوف الشرور بها، من ابتلي بها لا يفلح أبداً، نطلب الله العظيم أن يجعل ذلك طهارة لأبائنا، ومحواً لسيئاتنا وإجرامنا، بفضلته والحمد لله رب العالمين، وقع بتاريخ 8 ذي الحجة الحرام متم 1324هـ البشير بن محمد بن أحمد التجاني، ثم طابعه الشريف بداخله: محمد البشير بن محمد التجاني سنة 1301هـ، وبدائره مطوقاً يا منفرداً بالقدرة ليس لك ثاني كن لعبدك هـ.

نص إجازة مجيزنا سيدنا ومولانا محمد الكبير¹

بن مولانا البشير رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،

¹ - سيدي محمد الكبير بن سيدي محمد البشير التجاني، شريف مبارك، موضع ثقة العلماء والأفاضل من أهل عصره، يحبونه ويجلونه، كما كان عفيفاً، دائب العمل، نشيطاً، لا يحب الظهور، حاضر البديهة، يتعرض للناس بالنصيحة، يقول الحق لا يتردد فيه. توفي بقرية عين ماضي بالصحراء الشرقية عام 1350 هـ - 1931م، وبها دفن. وقد مدحه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بقصيدة ميمية لدى وفوده على مدينة فاس بقصد زيارة جده الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه في شهر صفر الخير سنة 1337 هـ - نونبر 1918 م، ومطلعها:

أهلاً وسهلاً بأهل الفضل والكرم
شرفتموا كل أرض تنزلون بها
إلى أن يقول فيها:

وأنت يا سيدي الكبير واسطة الـ عقد الثمين رفيع القدر والشيم
نجل البشير الذي جلت مناقبه
نجل الحبيب الذي تعنوا الأسود له
أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 57. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). رفع النقاب، للمؤلف نفسه 1: 242-248 و3: 260-262. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون الجزء الأول.

وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، حمدا لمن وفق عباده، إلى أقوم عباده، وجعل الواسطة في النعم سيدنا محمدا ينبوع الفضل والكرم، وجعل خليفته في الإمداد والإرشاد، خاتم الولاية ویتيمة عقد السادة الأمجاد، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله من بحر أسرارہ بأکبر الأواني، وبعد فيقول الواضع طابعه عقبه، رفع الله رتبته، وبلغه في الدارين طلبه، إن خديم الحضرة الأحمديّة، ومادح الحضرة المحمديّة، فقيه الطريقة التجانيّة، وعالمها الظافر بالحظ الوافر من المواهب العرفانيّة في معالمها وعوالمها، سمي الشيخ، السيد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أسعده الله، وبلغه ما تمناه، هو منا وإلينا، يعمه ما يعمنا من الضمان المسدول رواقه علينا، وهو ملحوظ عندنا بعين الرضى والقبول في أقواله وأفعاله، وفي سائر أحواله، سائلا من المولى بجاه سيدنا الجد أن يحفه برداء الرضى دنيا وأخرى، ويقبل عليه في حضرات القدس بما تقر به عينه سرا وجهرا، ويعامله باللطف الخفي، ويجريه على عوائد بره الخفي، هو وأحابه ومن تتسل منه إلى يوم القيامة، إنه رب ذلك والقادر عليه.

هذا وإنني أقدم همة سيدنا الجد خاتم الأولياء قدس سره في الإذن لهذا الخديم الصادق، والمحب الحبيب الفائق، بطريقته الأحمديّة المحمديّة التجانيّة، بما اشتملت عليه من أسرار وأذكار، وفتوحات وأنوار، وفضائل ومواهب، ومراتب ومناقب، وخواص وترقيات، وأسماء ومسميات، وجميع ما فاض على قلب الشيخ رضي الله عنه وجرى على لسانه من الفيوضات الوهبيّة من الحضرة القدسية على يد الحضرة المحمديّة عليها

أفضل الصلاة والسلام، سائلاً من المولى أن يؤيده بالألطف الخفية، وأن يعمه بالنعمة الوافرة الوافية الوفية، ويقويه على حمل ذلك مع السلامة والعافية.

وقدمناه لتلقين الطريقة وما شاء من أذكراها وأسرارها لمن طلب ذلك منه تقديمًا وإذنا عامًا، لما فيه من الأهلية لذلك، وسلوكه على أقوم المسالك، وأوصيه وإياي بتقوى الله، والنظر بعين الاحترام لجميع أهل الله، والرفق بخلق الله، والاعتماد على الله في جميع أموره، في وروده وصدوره، والدلالة على الله، وملاحظة سر الله في سائر خلق الله، وأن لا يهمل المظاهر التي أظهر الله، فإنه ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله¹، سائلاً من المولى أن يفتح عليه وبه وعلى يديه، ويدخل به في حضرات التداني، وينعم عليه بقضاء ما يأمله من المنى والأمان، محوطاً بسور الأمان في سائر الحركات والسكنات، وأن يريه ما يسره في سائر الحضرات، بجاه سيد السادات، عليه أفضل الصلوات وأتم التحيات، آمين والحمد لله رب العالمين.

وعندي إجازات من غير ما ذكرناه، والذي أعتمد عليه من جميع ما ذكرته هو إجازة شيخنا العبد لاوي رضي الله عنه، طبق ما شافهني به، زيادة على ما كتبه لي مما نقلته ولم يمكني كتب جميع ما عنه تلقيته هنا لضيق المقام، وفي ضمن جميع ما تقدم الإجازة بكتاب جواهر المعاني وغيرها من كتب مؤلفها ومؤلفات العلامة ابن المشري التي من جملتها

¹ - أنظر الحكم العطائية الكبرى، للشيخ ابن عطاء الله الإسكندري رقم 17.

الجامع لما افترق من درر العلوم، ومواهب المنان، وشرح ياقوتة
المحتاج، ونحو ذلك، والله يأخذ بيدنا، ويسلك بنا مسالك النجاة بالتوفيق لما
فيه رضاه آمين.